





وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

صالح باي و محمد الكبير و دورهمـا في ترسيم النفوذ العثماني بالمناطق الجنوبية الجزائرية

(1213-1185)هـ/(1799-1771)م

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر

المشرف :

د/سعيود ابراهيم

المشرف المساعد

أ/آل سيد الشيخ سعاد

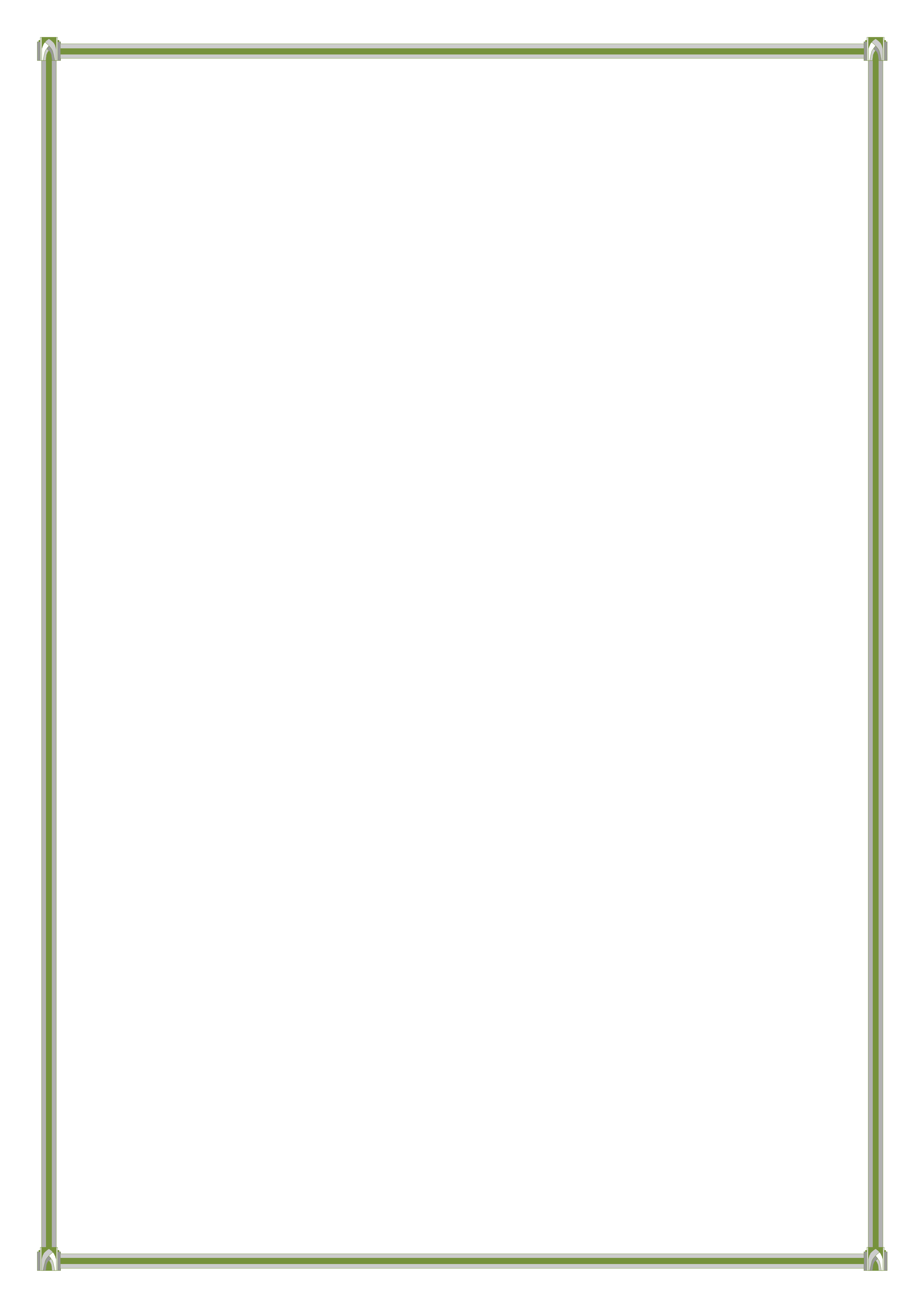
من اعداد الطالبة:

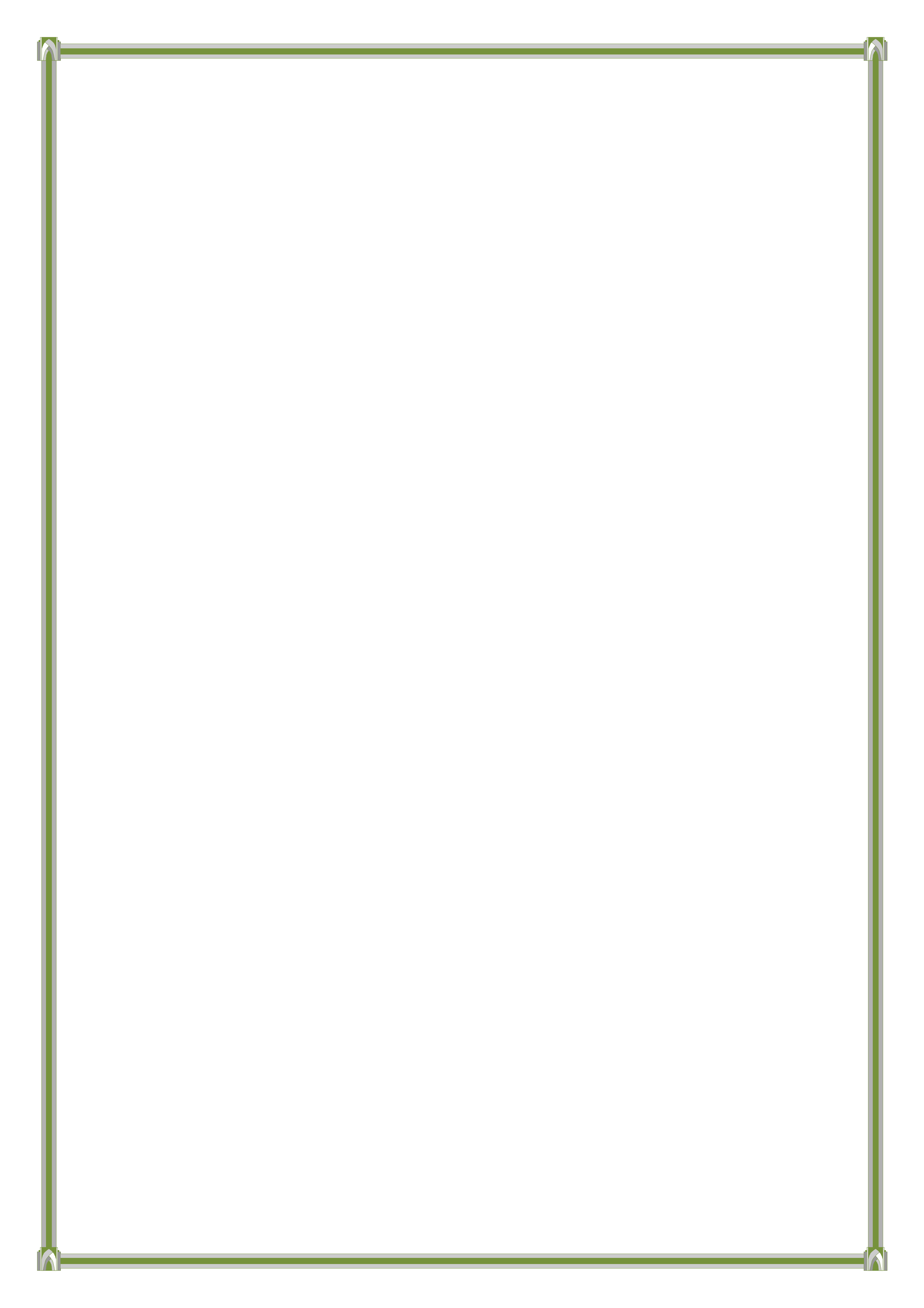
كرايم أم الخير

اللجنة المناقشة:

أ/ بوساليم صالح	رئيسا
د/سعيود ابراهيم	مشرفا و مقرر ا
أ/آل سيد الشيخ سعاد	*مشرفا مساعد ا*
أ/بوبكر محمد السعيد	*عضوا مناقشا*

السنة الجامعية:(1434-1433)هـ/(2013-2012)م





اهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من:

والدي رحمه الله الذي علمني التأني و المثابرة

والدتي العزيزة التي حثتني على العمل

و إلى أخواتي أم سفيان و أم توفيق.

شكر و عرفان

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور إبراهيم سعيود على رحابة صدره وصبره معي في متابعة بحثي و توجيهي،فجزاه الله خيرا و أدامه للعلم ذخرا.

دون أن أنسى الأستاذة آل سيد الشيخ سعاد على مجهوداتها في دعمي وتشجيعي

فجزاهما الله عني كل الخير .

كما أشكر كل من ساعدني على تجاوز عقبة هذا البحث و لو بكلمة تشجيع و أخص بالذكر الأستاذ كواتي مسعود و الأستاذ ملاخ

عبد الجليل.

و اعترافا بالجميل أقدم شكري إلى أختي أسماء بوشلقة التي لم تبخل علي بالمساعدة و كانت لي خير مشجع لإتمام هذه الرسالة .

و كذا جميع طاقم إدارة قسم التاريخ بجامعة غرداية وإدارة المكتبة الجامعية و أخص بالذكر حكيم لقرع .

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

الباي محمد الكبير والباي صالح بن مصطفى من الشخصيات العظيمة التي احتلت مكانة هامة في تاريخ الجزائر المجيد و إزدان بها العهد العثماني منه خاصة، فانجازات وأعمال ومآثر كل واحد منهما تدفع الباحث إلى الاهتمام بأحداث حياته و دراسة جوانب شخصيته و إلقاء الضوء على أعماله في شتى المجالات.

فبعد وصول بايليك الشرق و الغرب الجزائري أوج قوته في عهدهما،عرف بعد حكمهما مرحلة ثانية سادت بها ثورات متعاقبة و فتن متلاحقة و اغتيالات كثيرة في جو تميز بالانهيار الاقتصادي والتردي الثقافي والاجتماعي، الغريب في الأمر أن تقهقرا مفاجئا و سريعا أعقب حكم هدا الثنائي الذي كان على رأسه الداي محمد عثمان باشا المجاهد،وهذا ما عبر عنه أحد كتاب قسنطينة المعاصرين محمد صالح العنتري بقوله: "انه في حين مات الباشا الذي اسمه بابا محمد ومات صالح باي تبدلت أحكام الترك و انقلبت حقائقهم و صار صغيرهم لا يوقر كبيرهم وبدا النقص في ملكهم".

تمثل فترة حكم صالح باي ومحمد الكبير مرحلة انتقالية بعهد الدايات، رغم قصرها إلا أنها احد أهم فترات تاريخ الجزائر في العهد العثماني، يمكن من خلالها أخد صورة عن طبيعة الحكم و الحكام العثمانيين بالجزائر و أسلوب الإدارة السائدة آنذاك، بالإضافة إلى أخد لمحة عن أوضاع إيالة الجزائر العثمانية من خلال دراسة أهم البايات الذين حكموا بها وأبرز إنجازاتهم وأعمالهم وحتى أدوارهم.

إنطلاقا من هذا التقديم جاء عنوان موضوعي: **صالح باي ومحمد الكبير ودورهما في ترسيم النفوذ العثماني بالمناطق الجنوبية الجزائرية (1779/1771م)**

1/ أهداف الدراسة:

ــ إن الفترة التي كان بها حكم صالح باي ومحمد الكبير تعتبر فترة إنتقالية بحكم الدايات، وذلك لما عقبها من تغيرات مختلفة مست جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فكان من الضروري إلقاء الضوء على هاتين الشخصيتين لمعرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك التغير الجدري والذي يمكن اعتباره الإرهاصات الأولى التي أدت فيما بعد إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ــ كما أن دراسة شخصيات إتسمت بالتميز في أعمالها والتفوق والنجاح في أدوارها، ضرورة لابد منها في دراسة التاريخ، لان تاريخ الأمم خلد بفضل شخصيات مثل هذه، إستحقت بنشاطها وحيويتها التنويه والاهتمام، لربط الحاضر بالماضي وترسيخ أمجاد الجزائر بإحياء ذكرى أبطالها.

ــ إثراء المكتبة الجزائرية و لو بالقليل من خلال هذا الجهد المتواضع ،ليستفيد منه غيرنا ، وإبراز الشخصيات التاريخية التي سطع نجمها في ربوع الجزائر.

2/ دوافع اختيار الموضوع:

أ_الذاتية: شغفي بالدراسات المتعلقة بالجزائر خلال الفترة العثمانية،وخاصة منها المتعلقة بمناطق الجنوب الجزائري،وهذا ما لمسته في هاتين الشخصيتين فبالإضافة الى اعمالهم العظيمة و مآثرهم الجليلة إرتباط كل واحد منهما بمناطق الجنوب الجزائري من خلال حملاته لترسيخ النفود العثماني بها.

ــ كما يرجع اختياري لشخصية صالح باي ومحمد الكبير كموضوع لهذا البحث إلى اهتمامي بالشخصيات التاريخية التي صنعت تاريخ الجزائر، والبطلان كان إحداها ورمزا من رموزها.

ــ ضف إلى ذلك بعد القراءة التمهيدية التي قمت بها حول شخصيات الجزائر من خلال بعض المصادر والمراجع مثل: كتاب أحمد بن هطال التلمساني "رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" الذي يصف لنا حملة محمد الكبير نحو بعض المناطق الداخلية بالجنوب

لتأديبها وترسيم النفوذ العثماني بها، لفت الموضوع انتباهي،فبدأت البحث عن الحملات الشبيهة بحملة محمد الكبير لتصدفاني حملات صالح باي والتي تزامنت معها،وهذا ما أثار اهتمامي و دفعني ليكون موضوع بحثي عن هاتين الشخصيتين و دورهما في مد السلطة العثمانية نحو المناطق الجنوبية.

ب_الموضوعية: كما كان الهدف من الموضوع المساهمة ولو بالقليل في التعريف بالشخصيات الفذة التي إزدان بها تاريخنا المجيد، بإبراز شخصية ومكانة كل من صالح باي ومحمد الكبير والدور الفعال الذي قام به بالمناطق الشمالية في صد الحملات الاجنبية، وبالمناطق الجنوبية من خلال ترسيم النفوذ بها وتوغله أكثر نحو دواخلها.

_ ضف إلى ذلك قلة الدراسات التاريخية حول حملات حكام الجزائر العثمانية نحو المناطق الداخلية وإن كانت موجودة فهي في أغلبها عبارة عن متفرقات في كتابات مختلفة، تمنيت من خلال عملي البسيط هذا الجمع بين نموذجين عن تلك الحملات والحكام الذين قاموا بها.

كما اتمنى أن أسهم بهذه الدراسة البسيطة في تقديم صورة أو لمحة بسيطة عن سكان مناطق الجنوب وعلاقتها بالسلطة الحاكمة من خلال دراستي لهاتين الشخصيتين العظيمتين ودورهما في ترسيم النفوذ العثماني بالمناطق الجنوبية.

3/اشكالية البحث:

بعد أن تشكلت لدينا صورة عامة عن البحث، حاولت أن أصوغه بناء على المعطيات التي بحوزتي و قد حملني هذا على طرح جملة من الإشكالات في شكل تساؤلات هدفنا معالجتها في هذه الدراسة،وقد صغتها على النحو الآتي:

_ كيف هي أوضاع تلك المقاطعات التي يتولى أمورها البايات ؟ وهل حكمها مستقل ومختلف عن ماهو موجود بدار السلطان بالعاصمة؟ وهل يوجد إختلاف فيما بينها من ناحية التنظيم والإدارة؟

ــ كيف كانت نشأة كل من محمد الكبير و صالح باي التي أكسبتهما هذه المهارة الحربية والكفاءة التنظيمية والقدرة الإدارية و أهلتهما لاحتلال هذه المكانة العظيمة في تاريخ الجزائر؟.

ــ وكيف كان واقع الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية بالمناطق الجنوبية الجزائرية؟.

ــ وما هو ياترى الدور الذي لعبه كل من محمد الكبير وصالح باي لترسيم النفوذ العثماني بالمناطق الجنوبية؟.

ــ وهل السياسة التي انتهاجها كل باي في حكم بايليكه كانت نفسها مع المناطق الجنوبية الجزائرية؟.

4/ حدود الدراسة: الفترة الزمنية التي خصصناها للدراسة كانت مابين 1771-1799م ،وهي الفترة التي إستمر فيها حكم كل من صالح باي ومحمد الكبير ،البداية كانت بسنة 1771م لأنها تعتبر منطلقا تاريخيا جديدا بالنسبة لحياة صالح باي قسنطينة وهي الوصول إلى أعلى مرتبة في مساره نحو السلطة حيث عين بايا على بايليك الشرق، ليتم بعد مدة قصيرة تعيين محمد الكبير كذلك أما 1799م فكانت هي السنة التي انتهى فيها حكم الباي محمد الكبير، والتي سبقها بفترة وجيزة قتل صالح باي.

5/ منهج الدراسة: هو المنهج التاريخي الوصفي لما تقتضيه دراسة الشخصيات و تتبع مسارها من ا وصف وسرد لما قامت به من أعمال تتطلب العرض .وكان إلى جانبه المنهج التحليلي المساعد على ذكر الأسباب وفهم الاحداث من خلال الشرح والتفسير خاصة عند إبراز اعمالهم، والدور الذي لعبه كل واحد منهما في ترسيم النفوذ بالجنوب.

6/ خطة الدراسة: قسمت فيها البحث إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى الفصل التمهيدي مع مقدمة وخاتمة، فكانت هناك إحاطة بالموضوع في المقدمة وإيضاح لاهميته وأسباب إختياره، بالاضافة إلى ذكر المنهج المتبع والاطار الزماني وأهم المصادر والمراجع.

أ_ الفصل التمهيدي: قبل تناولنا بالدراسة لشخصية صالح باي ومحمد الكبير كان من الضروري تسليط الضوء على بايليك الشرق والغرب الجزائري مقر حكمهما من خلال التطرق إلى الموقع الجغرفي لكل واحد منهما مع ذكر أهم العواصم بهما، ثم تقديم صورة مصغرة عن الأنظمة الادارية والعسكرية،لان معالم لا يمكن أن تتضح دون تكوين صورة عن الوضع الذي حكم فيه والمكان الذي إستقرا به.

ب_ الفصل الأول: كان خاص بباي البايات صالح الذي أبرزت فيه جوانب من حياته الشخصية وتحدث عن مساره المتميز في صعوده إلى السلطة وقيامه بمهام الإدارة والامارة على رأس بايليك الشرق من خلال عرض أعماله الحربية، ثم تناول سياسته العمرانية إنجازاته الثقافية والتنظيمية من خلال ذكر تلك المنشآت المختلفة وما كان سائدا بها فترة حكمه.

ج_ الفصل الثاني: خصصته للباي محمد الكبير والذي تناولت فيه هو الآخر شخصية هذا الحاكم الفذ وبطولاته الحربية وغيرها من الانجازات الثقافية والعمرانية، بالتركيز على أهم الاحداث التي خلدت شخصية محمد الكبير فذاع صيته حتى خارج التراب الجزائري، وكان ذلك من خلال تحريره لمدينة وهران والاخراج النهائي للاسبان منها ومن الجزائر.

د_ الفصل الثالث: وهو الفصل الاخير الذي قمت بتخصيصه لإبراز دور الشخصيتين في ترسيم النفوذ العثماني بالجزائر وفيه تم التحدث عن المناطق الداخلية وأوضاعها خلال الفترة العثمانية، ثم إبراز دورهما في ترسيم النفوذ من خلال التحدث عن الحملات التي قام بتوجيهها نحو تلك المناطق وما الذي ترتب عنها.

وفي الأخير أنهيت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها حوصلة عملي، وأهم النتائج التي توصلت إليها.

7/ الصعوبات: وبما أنه لا يخلو بحث من الصعوبات فقد واجهتني الصعوبات التالية وهي:

أولا–ضيق الوقت الذي لم يتناسب مع ما كنت أطمح إليه من إنجاز هذا العمل وتخصيص الوقت المناسب لإنهائه بشكل جيد. ضف إلى ذلك إرتباطي بالعمل الذي أعاق هو الاخر تفرغي للبحث.

ثانيا– قلة المصادر العربية التي تتحدث عن حملات حكام الجزائر العثمانية نحو المناطق الداخلية وان كانت موجودة فهي تحتوي المعلومات ذاتها.

8/ قائمة المصادر والمراجع:

لانجاز هذا البحث استعنت بعدة مصادر ومراجع أهمها كتاب: ابن سحنون الراشدي" الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" وكتاب: الآغا المزاري بن عودة" طلوع سعد السعود" بالاضافة إلى كتاب:ناصر الدين سعيدوني" ورقات جزائرية" وكتاب: فاطمة الزهراء قشي: "صالح باي البايات" الى جانب مجموعة كبيرة من المراجع والمصادر الاخرى التي أفادتي في انجاز بحثي.

وفي الأخير وبعد الحمد لله الذي وفقنا في انجاز هذه الدراسة فإنني أشكر جزيل الشكر الأستاذ المشرف على مساعدته هو والاستاذة المساعدة،كما أتوجه بالشكر والتقدير سلفا للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة على ما سيبذلون من جهد محترم مشكور في قراءة هذه الرسالة وتصحيحها وما سيتفضلون به علي من ملاحظات موجهة ومرشدة إلى تمام العمل ودقته وأسأل الله ألا يواخدنا إن أخطأنا ونسينا وأن يسهل لنا الطريق لنعقب الخطوة التي بدأنها فان أخطأنا فمن أنفسنا إن أصبنا فمن الله عز وجل والله خير المستعان .

الفصل التمهيدي: لمحة عامة عن إقليم الشرق والغرب الجزائري

المبحث الأول: بايليك الشرق الجزائري

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للبايليك

المطلب الثاني: قسنطينة عاصمة البايليك

المطلب الثالث: الجهاز الإداري للبايليك

المبحث الثاني: بايليك الغرب الجزائري

المطلب الأول: حدوده و عواصمه

المطلب الثاني: القوات العسكرية للبايليك

المطلب الثالث: التنظيم الجبائي والقضائي

المبحث الأول: بايليك الشرق الجزائري

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للبايليك

يشمل الشرق الجزائري الرقعة الجغرافية الواسعة، التي كانت تمثل بايليك الشرق خلال عهد الأتراك، و التي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة و وادي سوف، و تقرت و ورقلة في حوض وادي ريغ، و إيغرغر جنوبا. و من الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء ونوغة، و برج حمزة، و أعماق جرجرة غربا[1].

كما يحتوي هذا الإقليم على جبال البيبان وحوض وادي الصومام، و جبال البابور و قسنطينة، و عنابة، و سوق أهراس، و على السهول العليا القسنطينية و كتلة جبال الأوراس، و النمامشة، و تبسة، و جبال الحضنة، و الزاب، و الزيبان، و واحات سوف في حوض وادي ريغ، و واحات الصحراء الشمالية الشرقية وعلى رأسها: بسكرة ، تقرت ، ورقلة ، بل و حتى واحات ميزاب بوادي الشبكة[2] .

يعتبر إقليم الشرق الجزائري من أهم أقاليم الجزائر جغرافيا لما يمتاز به من تنوع مناخي و تضاريسي، فنجد أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: المنطقة الساحلية، المنطقة الوسطى، المنطقة شبه الصحراوية[3]، و عموما هو عبارة عن إقليم جبلي مرتفع في معظمه، تلتقي في وسطه جبال الأطلس الشمالية التلية، و جبال الأطلس الجنوبية الصحراوية، عند كتلة جبال الأوراس، أما بالنسبة للأحواض و السهول المنبسطة نجد حوض وادي الصومام بين كتلتي جرجرة، و البابور، و السهول العليا

---

[1] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 393.

[2] محمد صالح العنتري: **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها– تاريخ قسنطينة**، مراجعة و تقديم: يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 17.

[3] بوضرساية بوعزة: **الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم 1830–1848**، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 21.

القسنطينية، و حوض الحضنة بين جبال أطلس الشمال، و أطلس الجنوب.بالإضافة إلى منبسطات تبسة في أقصى الشرق، و حوض وادي سوف في الجنوب، و سهول عنابة، و سكيكدة، و بجاية الساحلية، و هي سهول ضيقة و صغيرة[1].

إن هذه المواصفات الجغرافية و الأوضاع الطبيعية جعلت من بايليك قسنطينة، منطقة تتمتع بموقع إستراتيجي و شروط مناخية ملائمة للاستقرار البشري و ممارسته نشاط اقتصادي قائم أساسا على الفلاحة و الرعي.

يضف إلى ذلك الصناعات التقليدية كمعالجة المواد الأولية المتوفرة محليا، قصد تغطية الحاجات الضرورية من أدوات فلاحية و منزلية و أسلحة و ملابس و أغطية، و قد ترتب عن ذلك نوع من التبادل التجاري بين القبائل، بينما احتكرت التجارة الخارجية من طرف البيوت التجارية الأجنبية، كما كانت موجهة لتصدير المواد الأولية الفلاحية و الحيوانية نحو بعض الأقطار الإسلامية و البلدان الأوروبية[2].

المطلب الثاني: قسنطينة عاصمة البايليك

قسنطينة عاصمة الإقليم الشرقي تتمتع بموقع استراتيجي أهلها لتكون عاصمة أكثر أقاليم الايالة الجزائرية ثروة و خصبا و من أوسعها مساحة، لها موقع جغرافي جاء على شكل مدرج، يرتفع في الشمال الغربي، و بالتحديد عند سفح جبل المنصورة ، الذي يفصله عنها انهدام منعرج تسلكه مياه وادي الرمال، و إلى الشمال الشرقي ينتصب جبل المنصورة الذي يمتاز بوجود نتؤان، الأول يطل على المدينة من الناحية الشرقية، و الثاني يوجد شمال غرب جبل المنصورة[3].

---

[1] يحي بوعزيز:المرجع السابق، ص 394.

[2] فلة القشاعي و المولودة موساوي: "**النظام الضريبي بالريف القسنطيني اواخر العهد العثماني 1771 –1837**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 7، الجزائر، 1993م، ص ص 177-178.

[3] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 30.

كما توجد بالمنطقة مرتفعات تسمى "كدية عتي" الشهيرة، و تطل هي الأخرى على المدينة و مع أن طبيعة السفوح جرداء، إلا أنها كانت تستغل في الزراعة المعاشية التي كانت ترتكز على الحبوب بالدرجة الأولى[1].

مدينة قسنطينة لها أربعة أبواب و هي: باب القنطرة الذي يقع في الشرق و يؤدي إليه جسر حجري قوي يقوم فوق ثلاثة أقواس، أما الأبواب الثلاثة الأخرى فتقع في الجنوب الغربي، يبعد الواحد منها عن الأخر بحوالي 200 خطوة، فنجد في الناحية الغربية باب الرحبة الذي أصبح منذ سنة 1836م يعرف بالباب الجديد، و في الناحية الشرقية باب الجابية، و باب الوسط هو باب الواد[2].

و للمدينة منظر جميل خارجيا لما يحيط بها من أسوار و حصون، أما داخليا فتحتوي على منشآت عمرانية رائعة خلفها باياتها و حكامها، حيث تشتمل على ساحات عمومية متعددة و تتميز بضيق شوارعها المتعرجة، إلى جانب مساجدها المتناثرة هنا و هناك، و التي أبدع الولاة في بنائها و تجميلها، بالإضافة إلى الثكنات التي انتشرت بالمدينة إلى جانب الأسواق و المخازن[3].

كانت قسنطينة المدينة الثانية بعد الجزائر العاصمة في العهد العثماني و كانت هي عاصمة الشرق كله، بدا الوجود العثماني بها منذ سنة 1525م بعد أن تمكن خير الدين من استرجاع مدينة الجزائر من ابن القاضي، وترك تسيير شؤون قسنطينة لبعض الأعيان، أمثال شيخ العرب وأفراد من أسرتي الفكون وعبد المومن[4] وهناك من يؤكد أن بداية الوجود العثماني في مدينة قسنطينة يرجع إلى سنة1528م.[5]

---

[1] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 30.

[2] فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837**، تر: أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 73.

[3] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 33.

[4] L.FERAUD : " **Epoque de l'établissement des Turcs a constantine " ,** R.A , 1866, p192.

[5] L.J. BERSNIER :" **L'époque de l'établmissement des Turcs a constantine"** , R.A ,1856, p 401.

بعد ذلك قام خير الدين بتوجيه حامية من الجيش الإنكشاري[1]نحو قسنطينة تتألف من 600 جندي، و قد تم تعزيز هذه الحامية بعد المشاكل التي تلقتها بسبب الصراع القبلي بين قبيلة الحنانشة و قبيلة أولاد يعقوب.

حيث قام حسن قورصو بعد توليه منصب البيلرباي سنة 1540م، بوضع حاميات جديدة بمناطق استراتيجية في قسنطينة منها: زمورة، برج بوعريريج، مسيلة و البويرة.و بعد تولي حسن بن خير الدين الحكم سنة (1567/1562م) عرفت الجزائر تنظيم اداري جديد أكثر شمولية و وضوح، بتقسيم الجزائر إلى ثلاثة بايليكات ، منها بايليك الشرق و عاصمته قسنطينة على رأسها باي، فكان أول بايات قسنطينة رمضان تشولاق الذي بقي على رأس البايليك مدة سبع سنوات (1567 /1574م)[2].

المطلب الثالث: الجهاز الإداري للبايليك

الجزائر في العهد العثماني لها أربع مقاطعات تسير وفق تنظيم إداري موحد و إن وجد الاختلاف فهو اختلاف طفيف، سنحاول توضيح هذا التنظيم الإداري من خلال تعرضنا للجهاز الإداري الخاص ببايليك الشرق.

يمثل الباي السلطة الأولى على الإقليم و هو المسؤول الأعلى أمام الحكم المركزي، حيث كان عليه القيام بتعيين المسؤولين و تنصيبهم و القيام بتسيير شؤون المقاطعة و الإشراف على القوات العسكرية وعملية جمع الضرائب من الأرياف و السهر على أمن المنطقة. أما العلاقة الموجودة بين

---

[1] **الجيش الانكشاري**: الإنكشارية كلمة تركية معناها النظام الجديد، و هو نظام الجند الذي أحدثه السلطان أورخان ثاني سلاطين آل عثمان (1326-1362)، عبارة عن جيش عسكري نظامي يتكون من الصبية المسيحيين بعد تربيتهم تربية إسلامية بعيدة عن الأهل و الوطن يلتحقون بالعمل العسكري (الجهاد). أنظر: جميلة معاشي: **الانكشارية و المجتمع ببايليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ و الآثار، جامعة قسنطينة ، 2008/2007م، ص ص2:-3.

[2] عائشة غطاس: **الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007، ص ص: 202-204

السلطة المركزية و الباي فتتجلى في مساعدة البايليك بالجيوش و تقديم المساعدات المالية أثناء الكوارث الطبيعية أما الباي فلقد كان يقدم للسلطة المركزية ضرائب و هدايا كانت تشكل عوائد البايليك[1].

ياتي بعد الباي مباشرة أعوانه و عددهم تسعة، في المرتبة الأولى الخليفة و هو المسؤول عن شؤون الأوطان و أدارة أراضي البايليك، يخضع له القياد و الفرق النظامية لجباية الضرائب و استتباب الأمن و تحت تصرفه تسع قبائل توفر له 200 فارس، كما يتولى الخليفة حمل الدنوش إلى الجزائر[2].

أما المرتبة الثانية فتحتلها وظيفة قايد الدار و التي تعد من أهم الوظائف بالبايليك، حيث كان قايد الدار يتولى إدارة مدينة قسنطينة عند غياب الباي و يبت في الخلافات التي تحدث، كما تخضع شرطة المدينة لأوامره[3].

وكان يدير القسم الأكبر من الأملاك الريفية و العقارات المصادرة بالمدينة، ويشرف على تخزين الحبوب الناتجة عن ضريبة العشور. وتمتد صلاحيات قايد الدار إلى توفير المعاش اليومي للقائمين على المساجد و بعض موظفي المدينة[4].

بالإضافة إلى هؤلاء توجد مجموعة أخرى من الموظفين نذكر منهم على سبيل المثال، الخزناجي صاحب السلطة على كل المصالح المالية، و الباش كاتب الذي يحرر ويصحح رسائل الباي و كل ما يتصل بشؤون السياسة للبايليك، و الباش سيار المسؤول عن قافلة البريد، و الباش سايس المسؤول عن خيول و جياد البايليك، ويأتي في الأخير الباش شاوش المكلف بتنفيذ الأوامر، و شاوش الكرسي و هما اثنان يتوليان وظيفة الجلد[5].

[1] حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص ص: 147-148.

[2] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 207.

[3] صالح فركوس: **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص27.

[4] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 208.

[5] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 21.

أما الوظائف الأخرى فهي عديدة و متنوعة لكل واحدة منها دور في الحفاظ على تنظيم البايليك و استقراره، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع من الموظفين و ذلك على حسب المهام المنوطة بكل موظف و هي:

أولا_ الموظفون المساعدون: لايتصل بهم الباي مباشرة إلا عند الضرورة و هم (آغا الصبايحية، شاوش محلة الشتاء[1]، باشا العلم، باش الطبل، باش المكاحل، باش خزناجي الذي يحرس قوافل المحلة التي تستخلص الضرائب، باش منقا المسؤول عن إعداد الأحصنة و البغال التي يقودها الباي، و خوجة الخيل)[2].

ثانيا_ موظفو قصر الباي: نذكر منهم (قائد المقصورة وهو مقتصد قصر الباي الخاص، باش الفراش يتكلف بفراش قاعات القصر،قايد السوانة الذي يكلف بحمل مضلة الباي، قائد السبسي الذي يتكلف بغليونة الباي، قائد الطاسة و هو الذي يحمل أدوات شرب القهوة للباي، بالاضافة إلى باش قهواجي الذي يعد و يقدم القهوة للباي، و كذلك قائد الدريبة و هو البواب الأول لمنزل الباي)[3].

ثالثا_ موظفو إدارة المدينة: يخضع موظفو إدارة المدينة إلى قائد الدار، الذي يكون تحت تصرفه أمناء الحرف و المهن بالاضافة إلى عدد كبير من الموظفين و هم قائد الباب المكلف بمراقبة الحبوب و السلع التي تجلب إلى المدينة، قائد السوق و هو مفتش الأسواق، قائد الزبل المسؤول عن التنظيف، و قائد القصبة المسؤول عن شرطة المدينة، بالاضافة إلى البراح و الباش حمار، و كذلك وكيل بيت المال الذي من صلاحيته تقديم المساعدات للفقراء و التصرف في المواريث التي لا صاحب لها[4].

---

[1] **شاوش محلة الشتاء**: مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن و الأغذية و الخيام ، و الأخشاب التي يتحصل عليها من قائد الدار مباشرة. أنظر: محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 22.

[2] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 210.

[3] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص ص: 24-23.

[4] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 211.

إن هذا الجهاز الإداري ببايليك الشرق لا يختلف كثيرا عن ما يوجد ببايليك الغرب، و هذه التنظيمات الإدارية تكتسي أهمية بالغة في تنظيم المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، و تقدم صورة واضحة وجلية عن طبيعة الحكم و العلاقة القائمة بين الحكام و المحكومين، فنجد أن البايليكات كانت عبارة عن دويلات شبه مستقلة، يعود للباي حق التصرف المطلق في شؤونها.

المبحث الثاني: بايليك الغرب الجزائري

المطلب الأول: حدوده و عواصمه

يمتد بايليك الغرب الجزائري من الحدود المغربية إلى الحدود التي تفصله عن دار السلطان و عن بايليك التيطري، و من سواحل البحر المتوسط إلى نواحي البيض حيث مجال النفوذ الديني و السياسي لمشيخة أولاد سيدي الشيخ، و لم يكتمل بصفة نهائية إلا بعد خروج الأسبان من منطقة وهران سنة 1792م[1].

يأتي بايليك الغرب في الدرجة الثانية من ناحية المساحة، أي بعد بايليك الشرق الجزائري الذي يحتل المرتبة الأولى[2].و قد أسس بايليك وهران سنة 1563م على يد حسن باشا بن خير الدين، ليكون أبو خديجة أول باي تولى السلطة ببايليك الغرب الجزائري.

أما بالنسبة لعاصمة الإقليم الغربي فقد اتسمت بعدم الاستقرار، و هو أمر تحكمت فيه الأوضاع السياسية و العسكرية المرتبطة بالاحتلال الأسباني للموانئ الغربية.كانت مدينة مازونة عاصمة البايليك الأولى و هي مدينة تتمتع بموقع إستراتيجي يتوسط القبائل مابين مستغانم و تنس[3].

---

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830**، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 292.

[2] عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962**، ط 3، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 63.

[3] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص: 220-233.

ثم نقل الباي مصطفى أبو الشلاغم مقر البايليك إلى معسكر لتكون عاصمة لأيالة الغرب الجزائري منذ سنة 1690م[1]، و هي الأخرى مدينة تتمتع بموقع إستراتيجي يربط بين المناطق الساحلية و المناطق الداخلية و في الوقت نفسه تعتبر سوقا لمنتوجات السودان و مستودعا لبضائع فاس و ملتقى لتجارة الغرب الجزائري، و كذلك لها موقع منيع[2].

و بعد تحرير وهران الأول من الأسبان على يد الباي مصطفى بو شلاغم يوم 16 أفريل 1708م[3]، أمر الداي محمد بكداش بإلحاقها ببايليك الغرب اعترافا بجميل الباي مصطفى بو شلاغم الذي جعلها مقرا دائما له، و ظل مستقرا بها مدة ربع قرن إلى أن استعادها منه الأسبان سنة 1732م[4]، و تحولت عاصمة البايليك إلى مستغانم حتى سنة 1737م، لتنتقل بعدها قاعدة البايليك مرة أخرى إلى معسكر حتى سنة 1792م[5].

و بعد الفتح النهائي لوهران على يد الباي محمد الكبير سنة 1792م، نقل إليها مقر البايليك و أصبحت مدينة وهران عاصمته بصفة نهائية، ليتم العمل بعد ذلك على تدعيم السلطة التركية في الناحية الغربية حتى بلغ بايليك الغرب أقصى اتساعه عهد الباي محمد الكبير[6].

المطلب الثاني: القوات العسكرية للبايليك

كانت القوات العسكرية للبايليك تتألف من جنود الحاميات التي تتواجد في المدن الهامة بالبايليك و هؤلاء الجنود من الإنكشارية يتبعون القيادة المركزية في مدينة الجزائر، و للجنود القدامى

---

(1) عدة بن داهة: **معسكر عبر التاريخ**، ط 1 ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص 54.

(2) صالح عباد: المرجع السابق، ص 293.

(3) عمار عموره: **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962– الجزائر عامة**، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 231.

(4) صالح عباد: المرجع السابق، ص 293.

(5) عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 234.

(6) صالح عباد: المرجع السابق، ص ص: 293-294.

من هؤلاء مراتب و ألقاب نذكر منها على سبيل المثال:"أبي يولداش" وهو الجندي البسيط الصغير، "باش يولداش" رئيس فرقة متكونة من 20 إلى 25 جندي، "وكيل الحرج" المكلف بالأسلحة و صناعتها و المتصرف في شؤون الدولة العسكرية وهو أيضا المقتصد للحامية أو الكتيبة[1].

بالاضافة إلى الجيش النظامي نجد في البايليك قوات أخرى متنوعة تحت تصرف الباي يستخدمها في القضاء على حركات التمرد، و في إجبار القبائل على دفع الضرائب، تكون هذه القوات من قبائل المخزن أو الزمالة.

أما قبائل المخزن فهي تتمتع بامتيازات لدى الدولة التركية مثل عدم الالتزام بدفع الضرائب مقابل خدماتهم العسكرية، و الزمالة هم أناس مشردون من أوطانهم إلى الحدود الجزائرية يسمح لهم بالمكوث مقابل المساهمة في الجنود المشاة و فرسان الخيول وكان منهم بوهران عدد كبير يتكون من الزنوج الفارين من أوطانهم[2].

يتألف عموما البايليك من قوات عسكرية تقدر بحوالي 45 ألف رجل موزعين بين المشاة و الفرسان الخيالة، ينتمون إلى ثلاث فئات هي: الميليشيا، و الزمول، و دائرة المخزن. جنود الميليشيا من الأتراك و بعض الكراغلة، مهمتهم الخدمة في المعسكر و المشي مع محلة الدنوش، و مع قوافل الغزو في الحروب.

بالنسبة لجنود الزمالة فيجندون من قبائل المخزن، أما جنود دائرة المخزن فهم رجال حرب و فرسان يتم اختيارهم من كل القبائل، و يرأسهم أغا الدايرة يبلغ عدد أفرادها حوالي ألف فارس يعسكرون في أماكن مختلفة[3].

---

(1) محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1392هـ/1972م، ص 38.

(2) المصدر نفسه، ص 39.

(3) محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 25.

و كما توجد قوات عسكرية تحافظ على أمن و سلامة البايليك، هناك قوات عسكرية خاصة من أجل السهر على سلامة الباي و أمن قصره، تتمثل هذه القوات العسكرية في شواش البايليك و هم أربعة شواش بمكتب كل باي لفرض النظام و احترام القانون بقصر الباي[1]، بالإضافة إلى الصبايحية و هم فرسان عددهم 50، يتبعون الباي في كل خرجاته أو حملاته[2].

و هناك أيضا الحرس الشرفي الدائم للباي الذي يتكون من 100 إنكشاري من حاملي البنادق تقدم التشريفات الرسمية في المناسبات الخاصة، وعندما تقدم الدنوش يأتي الباي مع شواشه و حاملي البنادق و الصبايحية.

إلى جانب القوات العسكرية التي كانت تعمل من أجل حماية البايليك من الاعتداء الخارجي أو التمرد الداخلي، يوجد تنظيم دفاعي آخر داخل البايليك يتمثل في التحصينات التي كانت تشتمل عليها اغلب و أهم المدن بالبايليكات[3].

المطلب الثالث: التنظيم الجبائي و القضائي

إن التنظيم الجبائي خلال العهد العثماني كان عبارة عن مجموعة من الضرائب المتنوعة و المتعددة، التي كانت تلتزم بدفعها جماعات الرعية بينما تلتزم قبائل المخزن و العائلات الكبرى، و شيوخ الزوايا و المرابطين بدفع جزئية مخففة منها.

و كان هذا التنظيم الجبائي غير مستقر بل يختلف من بايليك إلى آخر ومن فترة إلى أخرى، نلاحظ مثلا مع نهاية القرن ال18م زادت الضرائب المفروضة على السكان بسبب ضعف النشاط البحري و تزايد نفقات الجهاز الإداري مما دفع الحكام إلى التمسك بموارد الأرض.

---

(1) علي خلاصي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، ط 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 195.

(2) صالح عباد: المرجع السابق، ص 294.

(3) علي خلاصي: المرجع السابق، ص 196.

التنظيم الجبائي كان عبارة عن جهاز ضريبي يشرف عليه مجموعة من الموظفين المكلفين بجمع الضرائب من السكان، و قد انقسمت هذه الضرائب و المستلزمات المالية المستخلصة إلى ثلاثة أصناف و ذلك بحسب طبيعتها القانونية و طريقة إستخلاصها[1].

الصنف الأول: ضرائب الملكيات الخاصة (العشور و الزكاة)، تعتبر من الضرائب الشرعية التي تمس أراضي الملكية الخاصة الخاضعة لمراقبة البايليك الفعلية، و العشور هي أخذ البايليك لعشر المحاصيل الزراعية، غير أن الواقع مخالف لذلك، فالتطبيق كان حسب الأعراف المعمول بها و المعتمدة أساسا في تقديراتها على مبدأ "الزويجة" أو "الجابدة" التي هي عبارة عن مساحة أرض زراعية و هي عادة من ثماني إلى عشر هكتارات، و بذلك تحدد كمية المحاصيل الزراعية المأخوذة كعشور على الأراضي الزراعية بعدد الزويجات أو الجابدات المحروثة، بغض النظر عن كمية الحصاد[2].

و كان البايات يدفعون هم كذلك الزكاة و العشور عن أوطانهم، حيث نجد باي الغرب يدفع عشرة آلاف صاع قمح، و مثلها شعير، و يوزع على أصحاب الدولة و خدامهم نحو ألفي صاع قمح و مثلها شعير، و الغنم ستة آلاف رأس[3].

الصنف الثاني: ضرائب أراضي البايليك و هي الأراضي التابعة للدولة و تسمى بالعزل، ترجع في غالبيتها إلى عمليات المصادرة من القبائل الثائرة، و تتنازل عنها الدولة لصالح كبار الموظفين أو القبائل التي تقدم المقاتلين للسلطة التركية أو الفلاحين مقابل دفع الإتاوات المفروضة عليهم[4].

---

[1] فلة القشاعي و المولودة موساوي: المقال السابق، ص 178.

[2] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في اواخر العهد العثماني (1792–1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 88.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الاسلامي–تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين**، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان، 1999، ص 521.

[4] حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص 154.

هذه الأراضي تكون قطاعا فلاحيا هاما له تأثيره الكبير على الحياة الاقتصادية، حيث نجد جزء كبير من الأهالي ترتبط معيشتهم بهذا القطاع عن طريق كراء الأرض أو العمل بها كأجراء و خماسين. تشكل أراضي البايليك و ممتلكاته المختلفة من مزارع و أحواش و أراضي مؤجرة للخماسة عوائد أساسية بالنسبة لنظام الجبائي بالبايليك[1].

الصنف الثالث: ضرائب ذات طابع إداري و صبغة اقتصادية، و هي عبارة عن عوائد لحقوق التولية مثل: حق البرنوس، حق الفرح، حق البشارة، حق الخدمة. وهناك العوائد و التوصيات و الهدايا مثل: هدية العيد، و ضيفة الدنوش. بالإضافة إلى ذلك توجد رسوم الأسواق و حقوق المبادلات مثل: حق العسة[2].

هذه الضرائب التي تم ذكرها ليست هي كل شيء بل هي الأبرز بين الضرائب التي كانت تمثل النظام الجبائي و يوجد غيرها كثير لا يتسع المقام هنا لذكرها.

أما القضاء بالبايليك فهو يمثل صورة مصغرة للسلطة القضائية في الايالة، هذه السلطة التي لم تكن محصورة في أيدي القضاة فقط بل شاركهم فيها كبار الموظفين و صغارهم، فكانوا مفوضين للنظر في عدد من القضايا، و كان البايات كذلك يقضون جزءا من يومهم في الفصل في القضايا التي كانت ترفع اليهم[3].

عموما كان القضاء بالجزائر يمثل من خلال محكمتين الأولى خاصة بالمسلمين الذين ينتمون إلى المذهب الحنفي، و أخرى خاصة بالسكان الذين ينتمون إلى المذهب المالكي، النظر في القضايا المدنية مثل: البيع و الشراء والزواج و الطلاق... يتولى أمره القضاة و ينفذون الأحكام[4].

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 90.

[2] فلة القشاعي و المولودة موساوي: المقال السابق، ص 180.

[3] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 39.

[4] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 71.

أما بالنسبة للقضايا الجنائية مثل: القتل و السرقة و الخيانة... فهي من اختصاص الباي، و القضايا البسيطة يكلف أحيانا القياد أو الشيوخ لمعاقبة المخالفين، عكس القضايا الخطيرة التي يكلف الباي بإصدار الحكم فيها[1].

و القضاة يحصلون على مرتباتهم من خلال ما يدفع لهم من رسوم و مبالغ مالية على كل عقد يسجلونه و يضعون ختما عليه، كما كان في القرى و المناطق النائية مساعدين يدربهم القاضي لنظر في القضايا المعروضة عليهم و يصدروا الأحكام نيابة عنه، ويطلق على المساعد اسم الوكيل[2].

---

[1] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص ص: 71-72.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

الفصل الأول: صالح باي البايات

المبحث الأول: حياته و شخصيته

المطلب الأول: مولد صالح باي ونشأته

المطلب الثاني: مساره نحو السلطة

المطلب الثالث: صفاته الشخصية

المبحث الثاني: أعماله الحربية

المطلب الأول: القضاء على الثورات الداخلية

المطلب الثاني: حماية الحدود الشرقية

المطلب الثالث: التصدي للهجمات الأجنبية

المبحث الثالث: مآثره و إنجازاته

المطلب الأول: مآثره العمرانية وإنجازاته الثقافية

المطلب الثاني: تنظيماته الادارية والاقتصادية

المطلب الثالث: نهاية صالح باي

-

المبحث الأول: حياته و شخصيته

المطلب الأول: مولد صالح باي و نشأته

صالح بن مصطفى أحد أبرز الشخصيات بقسنطينة، ولد بمدينة أزمير على ساحل بحر إيجة سنة 1137هـ/1725م. لأب يدعى مصطفى ينتمي إلى أسرة متوسطة الحال اضطرته الظروف أن يغادر بيت أبيه وبلده و يخوض مغامرات البحر و هو في سن السادسة عشرة و دلك حتى يتجنب الانتقام الذي كان يهدده اثر تسببه في مقتل أحد أترابه دون تعمد[1].

وقد عمل صالح باي في أول عهده مساعدا لصاحب مقهى للإنكشارية نظرا لصغر سنه و عدم خبرته بالحياة و لجهله بأوضاع البلاد، و على كلا فان عملا كهدا رغم تواضعه إلا انه سمح له كي يكتسب خبرة بالحياة و يطلع على طبيعة الحكم و أسلوب الإدارة السائدة بالجزائر آنذاك، فضلا عن أن هدا العمل كان مناسبة تعرف أثنائها صالح باي على بعض رجالات الأوجاق.

وقد ساعده دلك فيما بعد للحصول على إذن من مجلس الديوان يسمح له بالانخراط في فرقة الأوجاق و الالتحاق بعد دلك بمحلة الشرق السنوية المتوجهة إلى قسنطينة قصد المساهمة في تعزيز الحامية التركية بها و المشاركة في جمع الضرائب من الأرياف[2]، و من ثم انطلق في تسلق المراتب حتى بلغ أعلى المناصب.

المطلب الثاني: مساره نحو السلطة

(1) أبو عمران الشيخ و ناصر الدين سعيدوني: **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الوطنية للطباعة، جامعة الجزائر، 1995، ص 311.

(2) ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية –دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت–لبنان، 2000، ص 288.

انخراط صالح بن مصطفى في فرقة الأوجاق و مشاركته في عدة حملات من بينها الحملة التي شنها الباي أزرق العيون على تونس 1169هـ/1756م، كان فرصة أظهر أثنائها مهارته الحربية و كفاءته التنظيمية و مقدرته الإدارية، مما جعل أحد قوات جيش البايليك و هو أحمد القلي عند توليه منصب الباي بقسنطينة 1170هـ/1756م، يبادر إلى تعزيز أواصر الصداقة مع صالح باي فزوجه بابنته و ولاه قيادة الحراكتة، هده القيادة التي كانت تستند عادة إلى أهم شخصية بالبايليك بعد الباي، ودلك لشدة شكيمة هده القبيلة و لوفرة المداخيل التي كانت توفرها لخزينة الدولة[1].

قبيلة الحراكتة و التي يطلق عليها أيضا اسم العواسي. قبيلة واسعة إنتقلت من البلزمة بسبب الكوارث الطبيعية و الصراعات الداخلية في اتجاه منطقة عين البيضاء، تنسب القبيلة إلى رجل نشيط له أربعة أبناء أسماؤهم كالآتي:عيسى، الحاج، مخلوف، و علاوة. كان قائد العواسي لقب عالي و منصب هام لدرجة أن حامله يقطن بقسنطينة حيث كانت حاشيته و كانت قيادتها حكرا على المقربين من الباي.

هو منصب مشرف يمنح لشخصية قوية فقط و لها قدرة على قيادة قبيلة معتدة بعدتها و عددها إذ كانت تستطيع تجنيد عشرة آلاف رجل من بينهم أربعة آلاف فارس. وقد تميز صالح باي بقيادته لقبيلة الحراكتة الأوراسية مدة ثلاث سنوات و كان بارعا في أداء هده المهمة[2].

و بدلك تمكن من لفت انتباه رئيسه بقدراته العسكرية و مهاراته و خصاله الشخصية من خلال تفانيه في عمله، و حرصه في وفائه لصاحب نعمته، استمر إذن صالح بن مصطفى قائد العواسي بهدا الشكل في ارتقاء سلم المناصب السياسية و العسكرية[3].

و أثناء توليه لهدا المنصب اشتهرا أمره لكفاءته التنظيمية و مقدرته الإدارية التي أهلته أن يرتقي إلى منصب خليفة الباي[4]، و الخليفة أول موظف في مخزن الباي و أول أعوانه، له شؤون الأوطان في

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 288.

[2] Djamael Souidi : **Grands Personnages de l'Histoire Ancienne de l'Algérie(des origines à1830)**,editions du Telle, Algérie,2006, p91.

[3] فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص ص: 91-92.

[4] أبو عمران الشيخ و ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 311.

السهول المحيطة بقسنطينة و كان نفوذه يمتد إلى كل المقاطعة و يتصرف في كل الفرق العسكرية النظامية لجباية الضرائب و الحفاظ على طاعة السكان. و الخليفة هو الذي ينوب الباي مرتين في السنة، في الربيع و الخريف، لتقديم الدنوش الصغير[1].

احتفظ صالح باي بمنصب الخليفة مدة ست سنوات (1765_1771م) حظي خلالها بثقة و تقدير داي الجزائر محمد عثمان باشا الذي تعرف عليه أثناء تردده على الجزائر حاملا العوائد الفصلية و هدا ما ساعده فيما بعد على الارتقاء إلى منصب الباي، بعد وفاة صهره أحمد القلي سنة 1185هـ/1771م. وهنا تبدأ صفحة جديدة في حياة صالح باي مليئة بالمآثر و الأعمال العظيمة[2]

أثبت صالح بن مصطفى القائد و الخليفة قدراته في تسيير شؤون الرعية و التزامه بالمشروعية باحترامه أوامر الباي و مراعاة مصالحه. و هدا ما جعل أحمد باي يقترحه خلفا له و ما جعل الداي محمد بن عثمان باشا يرفعه لمنصب الباي بعد وفاة أحمد القلي[3].

أما فيما يخص زواج صالح باي و أولاده فلا توجد المعلومات الكثيرة، حيث تذكر الكتابات حول دلك أنه تزوج من ابنة الباي أحمد القلي، و أولاده هم محمد الابن الأكبر و أخواته السيدة أم هاني و السيدة آمنة و السيدة عائشة و السيدة خدوجة و السيدة فاطمة، وابنه الأخير هو حسين الذي رزق به سنة 1200هـ/1786م.

وقد وصل حسين بن صالح باي إلى سدة الحكم و تربع على بايليك قسنطينة مثل ما فعل أبوه لكنه لم يعمر فقد مات في معركة بين ايالة تونس و الجزائر سنة1807[4].و قد ذكره العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة بقوله: "بعد موت عثمان باي بوادي زهور تولى عبد الله باي واليا بقسنطينة

[1] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص 94.

[2] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص ص288 289.

[3] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص 93.

[4] المرجع نفسه، ص ص: 113-115.

في سنة 1219هـ/1804م و مكث بها عامين و نيفا، و تولى بعده حسين بن صالح باي واليا على قسنطسنة و كانت ولايته بها آخر سنة 1221هـ/1806م"[1].

المطلب الثالث: صفاته الشخصية

أغلب الكتابات عن صالح باي تؤكد أنه عرف بشخصيته القوية وشجاعته و صلاحه، فهو من حكام إيالة الجزائر العثمانية الأكفاء سياسيا وعسكريا و إداريا تمتع بشخصية قيادية ذكية و مقتدرة وما يؤكد صفاته تلك أعماله المختلفة في المجال العسكري خاصة.

كان صالح باي رجلا عاقلا سيرته مليحة و سياسته مستحسنة حميدة، يسمع كلام الشاكين و ينصر المظلومين و يحب عمل الخير ويرتضيه و يسعى في صلاح العباد ويعتني بأمورهم، أسس المساجد للديانة، و أجرى الصدقات على الفقراء و قام ببناء ما فيه منفعة للعباد و حصنا للبلاد، كانت سيرته حميدة سياسته مرضية جلبت له طاعة الرعية، تمكن من امتلاك الأملاك في كل بلاد و عم في عهده الخير كل البلاد[2].

عرف بالولاء و الطاعة لأصحاب نعمته فاشتهر و داع صيته في مختلف أنحاء البلاد و كان عصره عصر نهضة و رخاء و انتعاش فأدار أمور مملكته كأنه الملك المستقل فيها و لم تحدثه نفسه مرة بالانفصال عن مركز السلطة في الجزائر، و بقي طيلة أيام محمد عثمان باشا حافظا عهد الولاء و الطاعة[3].

ومن خلال ما كتب عن صالح باي يمكن أن نستشف تلك الصفات التي اتسم بها وجعلته واحد من أبرز حكام الجزائر العثمانية، حيث نجد أنه اكتسب شهرة واسعة و حظي بتقدير معاصريه

---

[1] صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974م، ص 46.

[2] محمد المهدي بن علي شغيب: **أم الحواضر في الماضي و الحاضر تاريخ مدينة قسنطينة**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص 376.

[3] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 134.

و تنويه جل من كتب حول بايات قسنطينة، فقال عنه الشيخ المبارك في تاريخ حاضرة قسنطينة "و حسنت أيامه و بلغ ما لم يبلغه من هو أكبر منه من ولاة الجزائر و ولاة تونس و جمع من الاموال ما لا يجمعه غيره. و عمر الوطن و سعدت الناس في دولته و دام نحو اثنتين وعشرين سنة. و أخباره مشهورة و صدقاته مأثورة [1].

و أشاد بخصاله صالح العنتري فوصفه بأنه رجل عاقل له سيرة مليحة و سياسة مستحسنة حميدة يسمع بها كلام الشاكين و ينصر بها المظلومين. و قدر فيه فايسات أصالة الرأي و الحزم فذكره في تاريخه حول بايات قسنطينة بأنه رجل إدارة لم يدرك شأوة أحد و اعتبره متقدم على زمانه و على من حكمهم من الأهالي[2].

مثل صالح باي مسارا فدا، عاديا و خارقا في الوقت نفسه، جمع بين المواصفات العثمانية للانكشاري النموذجي و بين الصورة التقليدية للزعيم المستبد المستنير في الوقت نفسه، تفوق في التنظيم و اشتهر بالقدرة على الإدارة و التسيير، كان صارما في مواقفه قاسيا في أحكامه.

ارتقى سلم المراتب العسكرية و السياسية بفضل خصاله و مهاراته و ما اجتمع لديه من مهارة عسكرية و نباهة سياسية، لتكتمل فيه مواصفات الحاكم الناجح و هي الصرامة و القوة و الشدة و حسن التدبير و التنظيم و التخطيط، فكان الرجل الفذ و الحاكم المتميز والأمير المشيد للعمران والحامي للأوقاف[3].

---

[1] أحمد المبارك العطار: **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تصحيح و تعليق: نور الدين عبد القادر، المؤسسة العملية للدراسات العربية، ساحة لافيجري- الجزائر، 1952، ص 26.

[2] أبو عمران الشيخ و ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 312.

[3] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص ص: 88-96.

المبحث الثاني: أعماله الحربية

المطلب الأول: القضاء على الثورات الداخلية

سنة 1771م/1185هـ عين صالح بن مصطفى بايا على قسنطينة و كانت أولى أعماله الحربية عبارة عن حملات عسكرية لاستخلاص الضرائب و معاقبة العصاة و وضع حد للفوضى من أجل تحقيق الأمن الداخلي.لذلك نلاحظ صالح باي عمل مند البداية على إخماد التمردات الداخلية، فوجه حملته نحو قبيلة الزمول جنوب قسنطينة و تتبع عشيرة السقنية انطلاقا من مركز "قنان" تاشودا، و قد تمكن صالح باي أثناء دلك من فرض المغارم الكثيرة و قتل العديد من الممتنعين من رجال قبيلة السقنية [1].

كما تمكن صالح باي من إخماد التمرد الذي قام به القبليون عهد الداي محمد عثمان، حيث أعلنوا عصيانهم مند سنة 1181هـ/1767م لتكون جميع جبال القبائل ملتهبة بالثورة، فنشبت عدة مواجهات بينها و بين الجيش النظامي الذي كلف بتأديبهم تنتهي كل مرة بالتغلب عليه و تكبيده خسائر فادحة، لتتمكن هده الأخيرة من الوصول حتى أسوار المدينة و الانتشار في سهول متيجة.

استمرت المواجهة و التمرد حتى سنة 1187هـ/1773م، حيث تمكن صالح باي قسنطينة من إقرار الصلح و السلام بعد اقتتال استمر سبع سنوات[2].

ليدخل في صراع شبيه مع أولاد عاشور[3] بفرجيوة 1781/1776م للحد من تطلعات شيخهم محمد الشلهوم و قد كان حال صالح باي في هدا الصراع نفس حال بقية بايات قسنطينة و عائلة ابن

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،المرجع السابق، ص 289.

(2) عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

(3) **أولاد عاشور**: البعض يرجع أصلهم إلى الصحراء و البعض الآخر إلى قبيلة كرفة في نواحي قالمة، لكن الرواية الراجحة تعيدهم إلى عائلة من وادي زناتي. بعد اقتتال عائلي فرت أرملة اسمها زديدة رفقة ولديها عاشور و حمزة لتصل إلى قبيلة ورزيفة التي كانت سيدة فرجيوة، تزوجت بشيخ

عاشور، تارة ينتصر البايات و تارة ينتصر أولاد بن عاشور[1]، وقد بدأت هده الأخيرة تمردها ضد السلطة الحاكمة مند عهد الداي علي شاوش.[2]

ويضاف إلى هدا النشاط الحربي تجريده لحملة عسكرية للحد من نشاط الشيخ الولي سيدي أحمد الزواوي، الذي التجأ مع أتباعه إلى جبل وزغار و حاول إثارة العامة ضد سلطة البايليك[3]، كما يرجع إليه الفضل في إخماد تمرد قبيلة أولاد نايل سنة 1187هـ/1773م، التي كانت كثيرة التمرد على السلطة و امتنعت عن دفع الضريبة عدة سنوات، نظم صالح باي حملة ضد القبيلة لإخماد تمردها و إخضاعها و انتصر عليها في معركة مالح أومسيف، فجمع الكثير من الغنائم و بعث بجزء منها إلى الداي بالإضافة إلى ستين رأسا من رؤوس أولاد نايل و أربعمائة زوج من آذانهم[4].

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أن سياسة صالح باي الداخلية كانت قائمة أساسا على توفير الأمن الداخلي للبايليك من خلال القضاء على التمردات الداخلية أولا، فقد كان تعيينه بايا على بايليك الشرق مناسبا لما لرجل من قوة شخصية، و رجاحة عقل، فبحزمه و حسن تدبيره تمكن من إخماد التمردات التي أعدتها بعض القبائل الداخلية.

المطلب الثاني: حماية الحدود الشرقية

استمر صالح باي في عمله الحربي من أجل توفير الأمن الداخلي لبايليك الشرق الجزائري، وهذه المرة تجسد عمله من خلال إبعاد الخطر عن الحدود الشرقية للبايليك بالوقوف في وجه تطلعات

القبيلة بينما تزوج ابنها عاشور ابنة هدا الشيخ و أصبح مساعده و وريثه، جلب عاشور فرسان لخدمته و وزع عليهم الأراضي في فرجيوة. أنظر: صالح عباد: المرجع السابق، ص 152.

(1) المرجع نفسه، ص 153.

(2) **الداي علي شاوش**: 1718/1710م في أرسل السلطان باشا من قبله إلى الجزائر ليمثل السلطنة إلى جانب الداي و الديوان، لكن علي شاوش رفض الباشا، و فتح باب المفاوضات مع الباب العالي ليكون الداي ممثلا لسلطان و السلطة الجزائرية معا و تمكن من دلك و استقلت الجزائر فعلا عن تركيا.أنظر: أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا،المرجع السابق، ص 48.

(3) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،المرجع السابق، ص 289.

(4) صالح عباد: المرجع السابق، ص ص: 167-168.

باي تونس حمودة باشا[1] سنتي 1787/1783م، حيث اختلف موقف حمودة باشا عن موقف والده علي باي الذي اتسم بالحذر و دارى السلطات التركية المنتصبة بالجزائر و قسنطينة و أرضى كل طلباتهم و امن جانبهم[2].

لكن حمودة باشا الذي تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 1783م شن عدة معارك ضد الحكام الجزائريين[3]، لذلك نجد صالح باي من اجل تامين حدود البايليك الشرقية يتخذ الموقف الحازم تجاه حمودة باشا الذي تمثل في الإصرار على تقديم تعويضات ملائمة عن الخسائر التي كان قد أحدثها حسن الكبير قائد علي باي تونس عند ملاحقته لقبائل تونسية استقرت بجنوب تبسة.

وتحت تهديد صالح باي باستعمال القوة اضطر حمودة باشا إلى الرضوخ لمطالب صالح باي وتقديم تعويضات ملائمة، و بذلك حصل صالح باي سنة 1784م على تعويض يقدر بخمسة وعشرين ألف سكة لفائدة القبيلة التونسية المقيمة داخل البايليك[4].

لكن ما لبث أن استجد بين صالح باي و حمودة باشا الصراع نتيجة متابعة صالح باي لبعض العشائر الجزائرية الخاضعة لحكمه و التي التجأت بدورها إلى الأرضي التونسية هربا من المطالب المالية التي فرضها عليها عمال صالح باي، و عندما تهيأ صالح باي لمهاجمة تونس على رأس جيش ناهز الستة آلف محارب، و استعداد حمودة باشا لصد هذا الهجوم بقوة قدر عددها بألفي تركي و ثلاثة

---

[1] **حمودة باشا**: (1814/1783م) تولى الأمر في تونس بعد والده على باي و قام بأعباء الولاية بحكمة، مسترشدا بمعونة عدد من أعيان البلاد نهضت البلاد في عهده نهضة واضحة في مختلف مجالات الزراعة و التجارة و الصناعة. أنظر: شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص 112.

[2] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر: محمد الشاوش و محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 87.

[3] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 112.

[4] ناصر الدين سعيدوني: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر،المرجع السابق، ص 63.

آلاف من الكراغلة و كثير من فرسان العرب ، ليقوم في الأخير حمودة باشا بمهادنة صالح باي و دفع ما توجب عليه من التعويضات[1].

المطلب الثالث: التصدي للهجمات الأجنبية

ساهم صالح باي بأعماله الحربية كذلك في صد الهجمات الأجنبية، فكان من أبرز إنجازاته الحربية المشاركة في مقاومة حملة الضابط الاسباني أوريلي سنة 1775م، التي قدمت إلى الجزائر وصالح باي في طريق عودته منها بعد تقديمه الدنوش[2] السنوية لداي الجزائر محمد عثمان باشا[3].

بعد تمكن الأسبان من احتلال وهران سنة 1732م، بدأ سعيهم في توسيع احتلالهم إلى باقي الموانئ و المدن الساحلية، ليكون ذلك من خلال حملة الكونت اوريلي حيث أعدوا حملة ضخمة جهزوها في قادس، قرطاجنة، و برشلونة[4].

تألفت الحملة من 51 قطعة بحرية حربية و 344 سفينة نقل تحمل على متنها أكثر من 24 ألف جندي، أكثر من 19 ألف منهم مشاة و 714 فارسا و 900 مدفعي و أكثر من ألفي بحار. تجمع الأسطول يوم 22 جوان 1775 تحت إمرة الأميرال دون **بيدرو كاتيجون**، أما الجيش فكان تحت قيادة الكونت أوريلي. في هذا اليوم أقيمت الصلوات في كنيسة سان فرانسوا تدعو الرب لإنجاح الحملة[5].

---

(1) ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق، ص 64.

(2) **الدنوش**:عبارة عن أموال وثروات تساهم بها البايليكات، تقدم في شكل هدايا و ترضيات عينية و نقدية، يتكفل الباي بتقديمها مرة كل ثلاث سنوات. أنظر: فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص ص: 100-103.

(3) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،المرجع السابق، ص 291.

(4) يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك اوروبا 1500 – 1830**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 101.

(5) Major DALRYMPLE **:Expidition d’ORELLY** , R.A, 1861, pp 33-34.

وبما أن الحملة كانت ضخمة لم يبقى الأمر سري، حيث علم الداي بتحضيرات الحملة فاستدعى البايات الذين جاءوا بقواتهم ليعسكروا بالقرب من مدينة الجزائر في بداية شهر جمادى الأولى 1189هـ/1775م[1]، و أرسل شيوخ القبائل كتائب كثيفة من الفرسان و جهز وزراء الداي كل القوات التي كانت تحت تصرفهم، ليكون الفرسان و سائقي الإبل، بالإضافة إلى الجيش النظامي في انتظار الأسبان. كما أعلن الداي أنه سيدفع عشرة دنانير عن كل رأس مسيحي يؤتي به إلى الجزائر[2].

بعد نزول الحملة الاسبانية بالجزائر و أثناء المواجهة التي إنتهت بهزيمة الأسبان تتضح لنا كفاءة صالح باي العسكرية و قدرته الحربية التنظيمية، فبعد أن عسكر صالح باي بالجهات الشرقية للجزائر العاصمة فيما بين واد الحميز و واد الحراش و بادر بالهجوم على طلائع الحملة الاسبانية، و أبدى في دلك شجاعة نادرة[3].

و كان لصالح باي سياسته الخاصة في هذه الحرب التي وصفها الشريف الزهار في مذكراته: "جاء صالح باي قسنطينة من ناحية الواد و قدم أمام الاسبانيول الآلوف من الإبل، فلما قربت من المتارز (التحصينات) ابتدأ القتال... حمل صالح باي أولا بقومه و عسكره على المتارز، ثم لحقه الناس من كل النواحي، فحملوا حملة رجل واحد، و أعلنوا كلمة التوحيد، و ارتفعت الأصوات بالتهليل فتزلزلت الجبال لحملتهم و دخلوا المتارز فوجدوا أغلب النصارى ملقين على الأرض بدون رؤوس... ولحقوا الهاربين منهم إلى البحر... فقتلوا من لحقوه"[4].

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص 169.

[2] جون ب . و ولف: **الجزائر و أوروبا 1500 – 1830**، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص404.

[3] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،المرجع السابق، ص 291.

[4] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار – نقيب أشراف الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص ص: 26-27.

تعرضت الجزائر لهذا الهجوم الأسباني يوم 30 جوان و انتهى يوم 16 جويلية 1775م بهزيمة مخزية تعرضت لها الجيوش الأسبانية التي أبحرت هربا تاركة وراءها القتلى و الجرحى و العتاد، حيث خسروا جميع المدافع التي انزلوها، و معظم البنادق و الأسلحة الصغيرة التي تعود إلى المشاة، وكل المؤونة التي أنزلت على الشاطئ، يضف إلى ذلك القتلى اللذين بلغ عددهم 27 ضابطا و 500 جندي، و جرح 191 ضابطا و أكثر من ألفي جندي[1].

وقد كان لصالح باي يد في هذا النجاح العظيم الذي حققه الجزائريون في هذه الفترة على الأسبان بفضل الإستراتيجية التي طبقها و التي كان لها دور فعال في إلحاق الهزيمة النكراء بالحملة الإسبانية رغم ضخامة عدتها و عددها. و ما يدل على ذلك ضخامة الغنائم التي وصفها الزهار بقوله: "و اخذ المسلمون ماترك الاصبانيول في المتارز نحو مائة مدفع و جميع آلات الحرب و استغنى الناس في ذلك اليوم مما جموعه من أثاث و دراهم، و ساعات و حوائج أخرى شيء لا يحصى"[2].

المبحث الثالث: مآثره و إنجازاته

المطلب الأول:مآثره العمرانية و إنجازاته الثقافية

إن صالح باي الحاكم الأكثر لفتا للانتباه بين حكام قسنطينة، كان نشيطا و محاربا و إداريا[3] و ليس هذا فحسب بل كان يدرك كذلك مدى أهمية التعمير بالنسبة للأمم و مدى أهمية التنظيم الإداري و الازدهار الثقافي بالنسبة للمجتمعات، و ما يدل على ذلك مآثره العمرانية و خدماته الثقافية و التنظيمية.

---

[1] جون ب .و ولف: المرجع السابق، ص 406.
[2] أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص27.
[3] صالح عباد: المرجع السابق، ص 177.

من آثار صالح باي و مآثره العمرانية التي ساهم من خلالها في ازدهار قسنطينة العمراني وتجميلها بتنظيم أحيائها و إحياء بعض المعالم العمرانية بها، نذكر مايلي:

أ_المسجد الأعظم و المدرسة: إبتداءا من سنة 1188هـ/1774م قام صالح باي بالخطوة الأولى في تجميل حي سيدي الكتاني بقسنطينة بعد أن أنشأ المسجد و المدرسة ثم تتابعت بعد ذلك مجموعة من عمليات الوقف عليهما[1].بعد تأسيس المسجد و المدرسة قام صالح باي بإحداث تغيرات عمرانية متوالية بنقل مركز المدينة و إحداث توسع عمراني لم يسبق لقسنطينة أن وصلته قبل هذا التاريخ.

كما أقام صالح باي بالحي منازله الخاصة التي امتازت بالسعة و الضخامة[2]، كانت بجوار المسجد حيث بنى لنفسه الدار الجوفية الباب، المتوسطة بين الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة و بين مقعد زواوة[3]. و شيد بجانبها بيوتا لتقيم بها حاشيته بالإضافة لهذه المباني بساتينه واصطبلاته و حمامه الخاص به، و أكمل هذه المجموعة من البنايات بإقامة العديد من الدكاكين التي تحيط بسوق الجمعة "سوق العصر"، و الحق بها مجموعة أخرى من الدكاكين و الفنادق[4].

ب_ تعمير شارع اليهود: من أعمال صالح باي العمرانية تعميره لناحية الشارة التي خصصها لليهود ليبنوا فيها منازلهم و دكاكينهم، شارع الذميين كما كان يسمى يقع في اتجاه الغرب نحو الجرف والوادي، بين باب القنطرة جنوبا و سوق الجمعة شمالا و رحبة الصوف و سيدي الجليس جوفا نحو الأسواق.

---

[1] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص69.
[2] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 293.
[3] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص 73.
[4] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص 293.

كان الحي شبه مهجور لكن صالح باي تمكن من تعميره عندما اقتنى به قطعة أرض مربعة الشكل قطرها 25 ذراعا و حبسه على الجامع سنة 1189هـ/1775م، و شجع اليهود على الاستقرار بالحي[1].و بذلك تمكن صالح باي من الحد من مضايقة اليهود التي نتجت عن اختلاطهم بالمسلمين بحومة الجابية وحي سيدي الكتاني خاصة، و في الوقت نفسه تعمير جزء من المدينة ظل شبه مهجور، ليصبح مركزا تجاريا مهما بعد أن سارع اليهود إلى فتح دكاكينهم و إقامة حوانيتهم بالشارع الرئيسي الذي يصل باب الوادي بباب القنطرة[2].

جـ_ إصلاح جسر القنطرة: قيام صالح باي بترميم و إصلاح جسر القنطرة يضاف إلى أعماله العمرانية، حيث جلب مائة عامل من البلاد الأوروبية ليعملوا في تشييد الجسر تحت إشراف المهندس الإسباني الدون **بارتو ليمو** من ماهون من أجل بناء القنطرة المعروفة قديما بالمشبكة سنة 1206هـ/1792م[3]،كان صالح باي يهدف من تشييد هذا الجسر إلى ربط المواصلات بين قسنطينة و النواحي الشرقية للبايليك، لكن هذا المشروع العمراني النافع لم يتمكن صالح باي من إتمامه و تنفيذه لأنه لم يشرع العمل فيه سوى في السنة الأخيرة من حكم صالح باي[4].

إلى جانب إنجازاته العمرانية كان لصالح باي خدمات ثقافية ميزت عهده و زادت في سجل مآثره العديدة و المتنوعة حيث قام بإنشاء المدارس و المساجد في كبريات المدن مثل: قسنطينة و عنابة و تقرت، فكان من أهم منشآته و خدماته الثقافية و الدينية بقسنطينة مدرسة الجامع الأخضر سنة 1193هـ/1779م و التي اشترط على الطالب الراغب في الالتحاق بها أن يكون حافظا للقرآن.

---

(1) فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص ص: 77-79.

(2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 293.

(3) A.Berbrugger : **Province de Constantine (Les anciens et ablissement reliuse Musulmans de constantine)**,R.A ,1868,p132.

(4) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 294.

كما أنشا صالح باي المدرسة الكتانية سنة 1202هـ/1787م الملاصقة لمسجد سيدي الكتاني[1]، و جامع بعنابة سنة 1203هـ/1792م و خصص للإنفاق عليها أوقاف كثيرة[2]،حيث نجد أن في عهده قد ناهز عدد المساجد و الزوايا أكثر من المائة منها خمسة و سبعون مسجدا وثلاثة عشر زاوية داخل أسوار المدينة، أما خارجها فقد بلغ عدد الجوامع خمسة جلها فوق كدية عاتي ومدرستين[3].

المطلب الثاني: تنظيماته الإدارية و الاقتصادية

صالح باي كان بالاضافة الى تشجيعه للعمران والتشييد واهتمامه بالثقافة والعلم يتحلى بروح المبادرة والنظام حيث نجده يسعى من خلال التنظيمات الادارية التي قام بها في مجال الاوقاف والتعليم وحتى الاقتصاد يسعى الى اقامة مجتمع ببايليكه يتمتع بعواصم فخمة عمرانيا وحواضر مزدهرة ثقافيا.

أبرز تنظيماته الادارية تظهر من خلال تشجيعه للتعليم ليس فقط ببناء المدارس بل كذلك من خلال تخصيص أجور سنوية للمعلمين والفقهاء والوعاظ والائمة، والسهر على إرساء نظام مدرسي يحدد شروط إقامة الطلبة وتعليمهم وفترات العطل وكذلك مستوى المعلمين[4].

نجد بالمؤسسات التعليمية بعهد صالح باي ومنذ سنة 1780م نظام خاص ليس أقل من النظام المتبع داخل بالمؤسسات التعليمية الفرنسية على حد قول فايسات حيث يذكر هذا الاخير أن المدرسة تشتمل على مسجد وخمس غرف تخصص واحدة للأستاذ والباقية للطلبة ومكان للوضوء وغرفة المهملات، وعدد الطلبة الداخليين ثمانية وهناك وكيل يكلف بالمدخولات والمصاريف[5].

---

(1) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 385.

(2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 295.

(3) فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص 84.

(4) Djamael Souidi : op cit, p92.

(5) أوجين فايست: **تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873م** ، تر: صالح نور، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2010، ص ص:49-50.

يقوم الأستاذ بإلقاء ثلاثة دروس في اليوم يكون الأول عند مطلع الشمس ويدوم إلى الساعة الحادية عشر. والدرس الثاني من الثانية عشر زوالا إلى العصر، والثالث من الثالثة والنصف زوالا إلى غروب الشمس.ويقرأ الطلبة كل يوم أربعة أحزاب من القرآن، حزبين بعد صلاة الصبح، وحزبين بعد صلاة العصر، ويختمون في كل مرة بالابتهال إلى الله والدعاء بالرحمة لمؤسسي المدرسة[1].

أما فيما يخص الانضباط بالمدرسة فقد كانت القوانين صارمة بحيث لا يمكن لأي تلميذ داخلي أن ينام خارج المدرسة، إلا لعذر خطير أو لزيارة أهله، وأيام العطلة هي 20يوما أو 30 على الأكثر، وإذا لم يدخل التلميذ بعد هذا الأجل، ولم يثبت أنه كان مريضا فإنه يطرد ويقدم مكانه لغيره، وكل تلميذ يقضي 10سنوات بالمدرسة دون أن يحصل على تقدم يطرد ويعوض بآخر[2].

إن ما ذكر يقدم صورة مصغرة عن النظام السائد بالمؤسسات التعليمية ببايليك الشرق فترة حكم صالح باي التي لم تتوقف عند هذا الجانب بل تعدته إلى وضع تنظيم محكم للأوقاف حيث قام برعايتها وصيانتها واهتم بتدوين وتسجيل كل ما تعلق بها. ولتنظيمها وحمايتها قام سنة 1776م بإجراء تمثل في إنشاء لجنة كلفت بإحصاء كل تلك الأملاك و أودعت النتائج لدى القاضي الحنفي والقاضي المالكي وبيت المال وشيخ البلاد[3].

وكان هذا الإحصاء من خلال تسجيل كل أملاك المساجد والمؤسسات الخيرية التي تم جردها في سجل كبير، و وضع دفاتر صغيرة الحجم خصت كل مسجد بصفة مستقلة، وقد بلغ عددها المائة وقد أدت هذه الإجراءات التنظيمية إلى توسع عمراني وتنظيم مختلف الأملاك العامة[4].

أما تنظيماته وإنجازاته الاقتصادية فقد تجسدت من خلال عمله لتطوير اقتصاد بايليك الشرق فجعله المنطقة الأولى في الإنتاج الزراعي، وذلك عن طريق تحسين أوضاع الزراعة وتنمية الإنتاج

---

[1] أوجين فايست: المرجع السابق، ص50.
[2] المرجع نفسه، ص 51.
[3] Djamael Souidi : op cit, p93.
[4] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص ص:67-68.

الفلاحي، واستحداث مزروعات جديدة مثل: الأرز وكذلك أشجار الزيتون بالنواحي القريبة من قسنطينة[1]، وحتى يعطي مثلا يقتدى به بادر بزراعة أشجار الزيتون بمنزله الريفي المعروف اليوم بسيدي محمد الغراب[2].

كما قام باستصلاح السهول التي تغلب عليها المستنقعات والتي تقع على ضفاف نهر سيبوز بنواحي عنابة، وقد أنشأ لهذا الغرض شبكة من القنوات لصرف المياه الراكدة الى مجرى النهر[3] ويضف الى ذلك قيامه بتطوير نظام السقي الذي يعتبر من ضروريات الفلاحة عن طريق تفجيره المياه بالصحراء وربط الينابيع ببعضها في شبكة من القنوات المجموعة، وحجم كل قناة يختلف عن حجم الاخرى في الكبر والصغر بحسب الحصة المخصصة لها، وقطر فوهاتها مختلف أيضا في الضيق والاتساع حسب نسبة كل حصة، بكيفية هندسية محكمة العمل وكان ذلك التوزيع بين أهل البلاد لسقي بساتينهم غاية في الإحكام والدقة حتى اعتمدته المحاكم الشرعية في تحديد الحقوق وبيان المقادير المائية لسقي كل مساحة[4].

أما الصناعة فقد شجع صالح باي أصحابها واهتم بهم على اختلاف مهنهم وحرفهم حتى أصبحت قسنطينة في عهده تعج بالورشات المختلفة والأسواق المزدهرة العامرة، حيث يوجد بقسنطينة منذ فترة حكمه 28سوقا و21سباطا و7 تربيعات لصناعة النسيج، و3 رحبات لعرض السلع، و3 أفران لصنع الخبز، و27 مطحنة للحبوب منها 5 داخل المدينة والباقي خارجها، تطحن 484كيسا من الدقيق، ومن المصنوعات المزدهرة بقسنطينة في هذه الفترة: الجلود، والنحاس، والحدادة، والحلي، والنسيج، والخشب، وأدوات الطين والخياطة، وغيرها كثير[5].

(1) صالح عباد: المرجع السابق، ص 178.
(2) محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 62.
(3) صالح عباد: المرجع السابق، ص 178.
(4) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 384.
(5) محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص ص:64-65.

بالنسبة للتجارة نجدها هي الأخرى مزدهرة في عهده حيث شجع صالح باي التجارة الداخلية والخارجية، يذكر فايست أنه قام بمضاعفة المبادلات وسهل تسويق منتجات المقاطعة، وعين وكيلا على كل من مرسى القالة، والقل، وعنابة لضمان دخول المبالغ المالية لتلك المبادلات للبايليك[1].

قسنطينة عهد صالح باي تحولت إلى ملتقى للقوافل التجارية الكبرى القادمة من طرابلس وغدامس، وتونس، وبسكرة، والجزائر والمغرب الأقصى، فكان البعض منها يضم 200جمل وزيادة تشحن بضائع البايليك المختلفة الزراعية والحيوانية والصناعية إلى مختلف الجهات الإفريقية والمشرق العربي[2].

المطلب الثالث: نهاية صالح باي

صالح باي الشخصية التي عرفت بالصلاح و الإصلاح والشجاعة وحسن التدبير والتسيير لشؤون الرعية تجمع أغلب الكتابات عن صالح باي بتغير سيرته وأحواله في آخر أيامه، ليعرف بعد ذلك بأحكامه القاسية ومطالبه المالية الثقيلة التي زادت من شقاء سكان الأرياف، وأثارت مخاوف أهالي المدن، فكثر منافسوه وأعداؤه من أفراد الطائفة التركية، وتحولت عن مناصرته وتأييده جماعة الحضر، وجاهر سكان البوادي بعدائهم له، كما نفر منه رجال الدين واستنكروا طريقته في الحكم[3].

يصف صالح العنتري آخر أيامه فيقول:" ولما قرب أجله وحانت وفاته تبدلت سيرته وانعكست حقيقته، وصار يظلم ناس الزاوية حتى افضى به ذلك الى الهلاك والهاوية"[4]، بحيث تختلف الروايات في أسباب وفاته ونهايته المأساوية بعد فترة حكمه الطويلة والحافلة بالانجازات العسكرية والاقتصادية والعمرانية والثقافية، التي تشهد بها كل الكتابات التاريخية عن هذه الشخصية الشجاعة والقوية.

يذكر الشريف الزهار في مذكراته أن الباي توجه كما جرت العادة لأداء الدنوش وعندما انتهت أيام ضيافته " ألبسه الأمير عمامة مبرجة مثل الخواجة وجعل له فيها ريشة من الذهب، ولبس العمامة

---

[1] أوجين فايست: المرجع السابق، ص 55.

[2] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 65.

[3] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 125.

[4] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 62.

ليس من لباس البايات"، وهذا دليل على أن الداي يريد قتل صالح باي والعمامة علامة كفنه يضف إلى ذلك عند انصرافه ضربة النوبة على نغمة (لا حال ايدوم) على غير العادة[1].

بعد وفاة الداي محمد عثمان تولى بعده حسن باشا الذي كانت زوجته هي ابنة الخزناجي الذي تم قتله سنة 1787م بعد شكوى صالح باي ضده، وثبوت سرقته لخاتم الرسالة الباشوية وخرقه لتعليمات الداي القاضية بمنع تصدير الحبوب للوكالة الإفريقية الفرنسية بعنابة[2].

ويذكر الشريف الزهار في مذكراته أن ابنة الخزناجي طالبت حسن باشا بقتل صالح باي انتقاما لأبيها، فأمر بعزله وسجنه ليقوم بعد ذلك رجال صالح باي وقرابته من المخزن بقتل الباي الجديد وأخرجوا صالح باي من سجنه وذهبوا به إلى موضعه كما كان بدار الباي.بعد سماع الداي بذلك وبثورة صالح باي أرسل جيشه ومعه الباي الجديد الوزناجي الذي سيتولى بايا على بايليك الشرق بعد قتله صالح باي[3].

تم قتل صالح باي وانتهاء الفتنة التي كانت مع نهاية حكمه وما كانت لتنتهي إلا بعد تحايل الشيخ عبد الرحمان الفكون على صالح باي وتسليمه إلى ديوان القصبة الذي قام بإعدامه[4].

وهذا ما يؤكده الحاج أحمد المبارك في كتابه تاريخ حاضرة قسنطينة حيث يذكر:"اتاه الشيخ سيدي عبد الرحمان الفقون وهو إذ ذاك شيخ البلد وصاحب مبرة الولاة التي جعلوها له. فخاطب صالح باي وقال له اذهب معي إلى داري وأكاتب عليك الباشا واذهب أنا وأنت إلى الحج فأطاعه

---

(1) أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 64.

(2) بن عتو بلبروات: " **الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته** "، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، 2005م، ص82.

(3) أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص65.

(4) محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1830/1792**، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 26.

وخرج معه وذهب من كان معه في حال سبيله. فلما وصل إلى قرب داره وجد الديوان فمسكوا صالح باي فالتفت إلى الشيخ وقال له غدرت فأجابه الغدر سبق منك"[1].

بعد حكم دام واحد وعشرين سنة أعدم صالح باي سنة 1207هـ/1792م ودفن مع أهله في سيدي الكتاني[2]، وتمت مصادرة أملاكه الضخمة والمقدرة بحوالي ستين مليون فرنك، لكن بالرغم من نهايته المأساوية فقد استطاع أن يحتل مكانة هامة في تاريخ الجزائر عامة وتاريخ قسنطينة الحديث خاصة، حيث احتفظ له أهالي قسنطينة بذكرى باي عادل ومسير مقتدر حتى ارتدت نساء قسنطينة الحجاب الأسود حزنا عليه[3].

---

[1] أحمد المبارك العطار: المصدر السابق، ص 28.

[2] Djamael Souidi : op cit, p93.

[3] عمار عموره: المرجع السابق، ص134.

الفصل الثالث: دورهما في ترسيم النفوذ العثماني بالمناطق الجنوبية

المبحث الأول: المناطق الجنوبية خلال الفترة العثمانية

المطلب الأول: سلطنة بني جلاب

المطلب الثاني: الأغواط و ورقلة

المطلب الثالث: منطقة وادي ميزاب

المبحث الثاني: حملات بايات الجزائر العثمانية نحو المناطق الداخلية

المطلب الأول: المحلة تنظيمها وطريقها

المطلب الثاني: حملة الباي محمد الكبير

المطلب الثالث: حملة صالح باي قسنطينة

المبحث الأول: حياته و شخصيته

المطلب الأول: محمد الكبير مولده و نشأته

اسمه محمد بن عثمان الكردي، وكنيته أبو عثمان، أبو علي، أبو محمد، أبو أحمد، أبو الفتوحات، و يلقب بالكبير، و الأكحل، و المجاهد، و المنصور[1]، ولد حوالي 1164هـ/1745م، حيث كان في سن المراهقة عندما قتل والده[2].

أمه جارية اسمها زائدة، أهداها لأبيه مولاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى، لمودة كانت بينهما. أما أخوه محمد الرقيق "بوكابوس" فأمه حرة اسمها خديجة و أبوها من أشراف المدية يقال له محمد بن عيسى اللمدانى[3]،

والده هو أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي، كان خليفة على مليانة، ثم ارتقى فأصبح بايا على تيطري و أحوازها، حتى "قتل في بعض غزواته على الأعراب المشهورين بالنوائل فولى مكانه صديقه السيد إبراهيم الأمير المشهور"[4].

الباي محمد الكبير كانت نشأته وتربيته على يدي صديق والده إبراهيم الذي تولى بايا في المدية مكانه، فنشأ نشأة صالحة و أقبل على العلم و الفروسية فنبغ في كليهما ثم زوجه الباي إبراهيم ابنته لما توسمه فيه من شجاعة و ذكاء حاد[5].

تولى عدة مناصب في مساره نحو السلطة، الأولى كانت قائدا لقبيلة فليتة وهي قبيلة كبيرة بالجنوب الغربي، و في سنة 1182هـ/1768م عين خليفة للباي إبراهيم بالجهة الشرقية من

---

(1) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 184.

(2) Djamael Souidi :Op cit ,p 72.

(3) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 184.

(4) أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973.

(5) أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا،المرجع السابق، ص 140.

البايليك الغربي. و سنة 1189هـ/1775م توفي الباي إبراهيم و تعرضت الجزائر إلى الغزو الاسباني بقيادة الكونت أوريلي، الحملة التي شارك محمد الكبير في مواجهتها و كان له دور كبير في هزيمة الجيش الأسباني، و بعد وفاة الباي خليل سنة 1193هـ/1779م عين محمد الكبير بايا على رأس بايليك الغرب[1].

كانت له عدة أعمال حربية و انجازات و مآثر اجتماعية خلدت ذكراه في تاريخ الجزائر الحديث، فبمجرد تعيينه بايا شرع في إصلاح شؤون الرعية، و السهر على مصالح العباد، و تنظيم البلاد، فراح ينشر الأمن بإخضاع الكثير من القبائل المتمردة في الجهتين الغربية و الجنوبية[2].

و عندما اجتاحت المجاعة الجزائر و انتشر الطاعون بالبلاد فترة توليه الحكم، لفترة طويلة دامت حوالي عشر سنوات، و قد وصفها الشريف الزهار في مذكراته فقال:"جاء الوباء للجزائر، حتى وصل عدد الأموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى بالوباء الكبير... أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية"[3].

واجه الباي محمد الكبير بحزم و شجاعة ذلك، حيث أنشأ المطامير العامة في كل جهة لخزن القمح الاحتياطي حتى يتقى أخطار الجدب و المجاعة، و عندما اشتد الغلاء و كثر البؤس، فتح الباي أبواب قصره في وجه المحتاجين حتى انتهت المسغبة[4].

بعد قضاء الباي محمد الكبير في الحكم عشرين سنة بايا مستقلا و سبعة أعوام خليفة توفي ببلدة صبيح سنة 1213هـ/1798م[5]، "و قيل عن موته أن الداي حسن باشا بعث إليه من سقاه سما"[6].و عندما وصل خبر وفاته إلى الجزائر بعثوا لابنه عثمان خليفته و أكبر أولاده بالمملكة فركب

---

(1) A.GORGUS : **Notices sur le Bey d’Oran Mohammed El Kebir**, R.A , 1857 , pp28-31.

(2) صالح عباد: المرجع السابق، ص 174.

(3) أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 51.

(4) أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا،المرجع السابق، 140.

(5) Djamel Souidi : op cit, p74.

(6) أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار،المصدر السابق، ص 63.

فورا، و بعد ما بعث أباه إلى وهران و أوصى بدفنه بالموضع المسمى بخنق النطاح[1]، توجه هو نحو الجزائر فأقره الباشا بابا مكان أبيه[2].

إن الباي محمد الكبير رجل قوي الشخصية، في عهده بلغ بايليك الغرب أقصى اتساعه و أوج ازدهاره.فقد كان حاكم يتمتع بحنكة سياسية و قدرة إدارية لتسيير شؤون البلاد و التحكم فيها، بفضله استعادة الايالة الجزائرية مكانتها و سيادتها الوطنية بعد تحريره مدينة وهران من الاحتلال الاسباني.

المطلب الثاني: صفاته و أخلاقه

كان الباي محمد الكبير أسمر اللون ممتلئ الجسم، مربوع القد، لا بالطويل و لا بالقصير[3]، "ذو وجه جميل و لحية سوداء تنزل إلى منتصف صدره، و له شوارب من الشعر تنزل على كتفيه على الطريقة التركية"[4].

وكان شجاعا نبيلا، و فاضلا كريما سريع الغضب و الرضى، كثير الحلم و العلم، قوي العزم و الحسم، محبا للسفر في أنحاء إيالته.و قد وصفه خوجة حسان في مؤلفه: تاريخ بايات وهران بذلك قائلا:" كان رجلا جسيما أسمر اللون لا بالطويل و لا بالقصير محبا للعلماء. قريب الغضب سريع الرضا كثير الغزو على أهل الصحراء إلى أن فتح بني الأغواط و عين ماضي"[5].

---

[1] الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 298.

[2] أبو عبد الله الأعرج السليماني: **تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الأمير عبد القادر(عن كتاب الشماريخ القسم الثاني، و جزء من القسم الثالث)**، تح: حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص 228.

[3] أحمد بن هطال التلمساني: **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تح: محمد بن عبد الكريم، ط1، مطبعة مخيمر ، القاهرة، 1969، ص 31.

[4] عميراوي أحميده: **الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 39.

[5] خوجة حسان: **تاريخ بايات وهران**، مخ، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 1634، ص 3.

وكان الباي محمد الكبير رجل ذا ديانة متينة، راسخ الاعتقاد في الله، و الثقة به و الاعتصام بحبله المتين، و الاستمساك بسنة رسوله الأمين، واقفا عند الحدود الشرعية، مؤتمرا بالأوامر الإلهية، فكان إذا خرج للغزو يقدم أمامه صحيح الإمام البخارى، تبركا و تفاؤلا و اعتقادا و أملا أن يكون عمله وفق الكتاب و السنة[1].

يضف إلى ذلك أنه تمتع بمقدرة إدارية و حنكة عسكرية، و قد وصف أبو راس الناصري ذلك فيه فقال:" فجمع بين دينه و دنياه و لم يطاوع أحد في هواه. فسياسته للخاصة اشاده و للعلم مد سعاده. بلطائفه المستحسنة. و مقاصده الحسنة"[2].

وكان محمد الكبير شغوفا بالعلم و الاطلاع نجده في أوقات الراحة يركن إلى مكتبته و يعتكف على المطالعة و الدرس، فكان متضلعا في علوم العربية متوسعا في علوم الدين، و واسع الاطلاع على علم الطب مغرما بدراسته، فكان يجهز بنفسه الأدوية المختلفة و يوزعها على أفراد الشعب[3].

يضف إلى ذلك انعدام التعصب لدى الباي، فقد زار ليفورن و مرسيليا وتمكن من تعلم الفرنسية و الايطالية[4].و عرف بمناصرته للأدباء و العلماء و رجال الدين و قد أكد صفته تلك محمد بن يوسف الزياني قائلا: "فكان رحمه الله من أهل البلاغة و اللسان الفصيح" ،"محبا للعلماء و الصلحاء و الفضلاء و الأدباء و الشجعان و النبلاء"[5].

و كان فارسا كبيرا و صيادا ماهرا نجده كثير الاعتناء بتربية الخيل العتاق، حيث يوجد باصطبله أنواع مختلفة من الخيول أمر ببذل الجهود في الاعتناء بها و المحافظة على نسلها، و كان مولعا بتربية

---

(1) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 186.

(2) محمد بن أحمد أبي راس الناصري: **عجائب الأسفار و لطائف الأخبار**، مخ، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3327، ص 17.

(3) أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص ص: 141-142.

(4) أحميده عميراوي: المصدر السابق، ص 39.

(5) محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم و تعليق: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 199.

الطيور و قد ذكر ابن هطال التلمساني ذلك بقوله: "وقد اجتمع عنده من الطيور الحسان المختلفة الأشكال و الألوان ما لم يجتمع عند غيره من الملوك"[1].

جمع الباي محمد الكبير كل صفات الحاكم العظيم من الحزم و الإنصاف، و الذكاء و الحنكة، والقوة و الرحمة، فنجده شديد العنف مع اللصوص وصارما إذا ما تعلق الأمر بالتعدي على الآداب الإسلامية، و شديد الإنسانية مع عبيده المسيحيين[2].يتصف بالذكاء و الحنكة في الخروج من الوضعيات الصعبة، و بالقوة و الشجاعة حتى "ذلت له الملوك و الجبابرة و اطاعته الرعايا. وخصت به المزايا.و دارت به الجنود. خلص مدينة وهران اذاقها الله اسلاما و امان"[3].

المطلب الثالث: علاقاته الخارجية

نظرا للمكانة التي احتلها الباي محمد الكبير بالجزائر و خارجها جمعته علاقات حسنة مع رؤساء الدول الإسلامية الشقيقة مثل: مصر، و تونس، و المغرب. فقد كان يتهادى معهم الهدايا مرارا، و يغيث من استنجد به من رؤساء أو شخصيات تلك الدول[4].

فقد جمعته علائق ودية مع ملك المغرب محمد بن عبد الله العلوي[5] و تبادل الهدايا معه،حيث قال صاحب الثغر الجماني "قصدته أبناء الملوك و الأعوان، و هادته الأكابر من كل مكان، فكان

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 31.

[2] عميراوي أحميده: المصدر السابق، ص 90.

[3] خوجة حسان: المصدر السابق، ص 3.

[4] أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص29.

[5] **محمد بن عبد الله العلوي**: (1790/1757م) تولى على مراكش مكان والده مولاي إسماعيل، و كانت مراكش خرابا، بفضل قوته وحسن سياسته استطاع مولاي محمد أن يعيد الامن و السلام الى الجنوب المغربي و يوطد سلطته كذلك في مناطق الغرب و الشمال، تمكن من تنشيط التجارة بالمغرب و اهتم باصلاح الجيش و القضاء على الفوضى في صفوفه. أنظر: محمود علي عامر، محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الاقصى ليبية"**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، ص 107.

ملك المغرب الأعظم، و طوده الأفخم، الخليفة الجليل، السيد محمد بن عبد الله بن إسماعيل، لا تنقطع عنه هداياه و لا تنزر منه هو على رسله عطاياه"[1].

كانت علاقة الباي محمد الكبير شديدة بأفراد الاسرة العلوية المغربية، حيث لجأ الى مدينة معسكر عبد الرحمان إبن مولاي محمد سلطان المغرب، فرحب به محمد الكبير، و احتفل بمقدمه احتفالا عظيما، وبعد مدة مر بمدينة معسكر مولاي يزيد[2] أخو عبد الرحمان السابق قاصدا بيت الله الحرام، فاستقبله الباي محمد الكبير استقبالا حارا، وجعل تحت تصرفه قصر البستان بما فيه ومن به[3].

وبعد وفاة مولاي محمد خلفه إبنه يزيد فتنكر لسيرة أبيه و أخد ينكل بحاشيته، فمنهم من قتل و منهم من نفي، ومن بين أولئك المنفيين " هرب إلى أميرنا المنصور أقربهم إليه ابن خاله المشهور بابن خده ففاض عليه إحسانه و بره وناله من ذلك ما قصر عنه شكر لسانه لو كان شكورا"[4].

كما نجد أن الباي محمد الكبير مهتم هو الآخر بشؤون المغرب متتبع لما يجري فيه من حوادث، عند لقائه بمؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني سأله عن أولاد مولاي محمد بن عبد الله و عن القائم بأمرهم و عن مولاي سليمان و هل له مال. وتحدث معه عن الاصطدام الذي وقع بين الطامعين في الملك بعد وفاة مولاي يزيد و أبدى برأيه قائلا: "ذهب ملك المغرب مع مولاي محمد، إن ملك المغرب تشتت و أولاد مولاي محمد لا تقوم لهم قائمة"[5].

---

(1) أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 144.

(2) **مولاي يزيد:** تولى الحكم سنة 1790م كان ابنا عاقا فقد ثار أكثر من مرة على والده مولاي محمد بن عبد الله، حيث اعتدى على الأموال التي أرسلها والده في موسم الحج إلى مكة و المدينة، تمكن في عامين من إفساد كل ما بناه والده خلال 33 عاما من توطيد الأمن و تحسين العلاقات مع الدول، أصيب أثناء قتاله مع أخيه هشام و توفي سنة 1792م. أنظر: محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 120.

(3) أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 29.

(4) أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 145.

(5) مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص ص: 35،36.

وكان للباي محمد الكبير علاقات مع بايات التيطري و قسنطينة و كذلك باي تونس[1]، فنجده يساعد حسن باشا ابن بعض أمراء قسنطينة عندما قدم إليه منفيا بعد ما شكاه باي قسنطينة[2] فأسكنه بتلمسان و أحسن إليه كل الإحسان و توسط لإلحاق عائلته به[3]. كما لجأ إليه أحد خلف باي تيطري بعد اختلاف مع رئيسه فوجد في الباي الكبير رغبته المنشودة، إذ استجاب له و هون عليه، ثم عينه خليفة على ضواحي معسكر[4].

إن كرم الباي محمد الكبير و مساعدته للمستغيث و المسكين، أدى به إلى إقامة علاقات حسنة و ودية داخليا و خارجيا، فنلاحظ أنه حتى مع عامة الناس كانت له اتصالات طيبة و أبرز مثال عن ذلك ما ذكر صاحب الثغر الجماني:"انه يدخل الجزائر بنحو المائة ألف سلطاني في كل ثلاث سنين مرة، و بما لا يحصى من الغنم...و سائر النفائس، فلا يرد معه شيئا يصرف أكثر ذلك فيما لا يلزمه من صلات الفقراء و العلماء و المجاهدين وسائر المتعرضين لنواله...حتى أن أيام إقامته بالجزائر من المواسم السعيدة على الفقراء و غيرهم، و لأجل ما شاع له من الكرم، قصدته أبناء الملوك و الأعوان"[5].

المبحث الثاني: تحرير مدينة وهران من الأسبان

المطلب الأول: التواجد الاسباني بوهران

وهران من المدن الجزائرية الساحلية ، تتربع على سفح الشاطئ الشمالي من غرب إفريقيا الشمالية، عند مدخل مضيق جبل طارق في نهاية خليج يقع بين رأس "ابوجا" شرقا، و رأس "فالكون"غربا.و هي المدينة الوحيدة التي يوجد مينائها بين ميناء "أرزيو" و ميناء "المرسى الكبير" وتبلغ مسافة هذا الخليج ثمانية آلاف وخمسين من المترات ، أما عمقه فيقدر بأحد عشر الفا من

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 30.

[2] أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا**، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة، الرباط، 1991، ص 152.

[3] أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص145.

[4] أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 30.

[5] أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 144.

المترات أيضا[1].قبل تعرض مدينة وهران للاحتلال الاسباني حكمها الزيانيون و كانوا في آخر عهدهم يتخبطون في مشاكل داخلية و خارجية أدت الى ضعف الدولة الزيانية[2] و انقسامها إلى إمارات صغيرة مفككة متناحرة[3].

شجع هذا التفكك الأسبان على غزو موانئها و مدنها الساحلية و السيطرة عليها واحدة بعد الأخرى وفق مشروع استعماري واسع يهدف إلى استعمار المغرب العربي كله، ممهدين له بحركة جوسسة واسعة، تلتها عملية غزو لمواقع ومدن عديدة في الساحل الجزائري منها مدينة وهران[4].

كان احتلال اسبانيا لوهران المرة الأولى سنة 914هـ/1509م[5]، بعد الحملة الضخمة التي خرجت من اسبانيا بقيادة الكردينال كزيميناس الذي فرض عليها الحصار حتى استولى عليها بفضل خيانة بعض ضعفاء الذمة و السماسرة اليهود، و فعلوا فيها ما فعلوه من تقتيل و تخريب و هتك للأعراض[6].

و كان ذلك في عهد السلطان الزياني أبي عبد الله الذي لقب باسم قلمون و هو من أول الأمراء الزيانيين الذين تعاملوا مع الدولة الاسبانية، حيث أبرم معاهدة مخزية مع الإمبراطور شارل الخامس، جعلت من دولته إمارة تابعة لاسبانيا تقدم لها الجزية[7].

بعد عجز بني زيان عن استرجاع مدينة وهران مكث فيها الأسبان مائتين و خمسة أعوام[8]، و كان بوهران خلال هذه الفترة عدد كبير من الدواوير العربية التي تقطنها آلاف العائلات، على رأس

(1) Henri (léon FEY) : **Histoire D'Oran**, Typographie perrieréaiteur, Oran, 1858,pp 29-30.

(2) **الدولة الزيانية:** تنسب الى قبيلة بني عبد الواد أحد بطون زناتة. أما تسميتها بالزيانية فنسبة إلى زيان بن ثابت، و مؤسس الدولة الحقيقي هو يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1283م). أنظر: عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن 10هـ/16م**، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص 37.

(3) عبد الرحمن الجامعي: **فتح مدينة وهران**، ج 1، تح: مختار حساني، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2003، ص 8.

(4) يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر– الجزائر الحديثة**، ج2، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 8.

(5) عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص 9.

(6) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 9.

(7) عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص 10.

(8) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 175.

كل دوار مسؤول يدعى الشيخ، و كان من بين هذه القبائل العربية التي تسكن المنطقة الاسبانية قبائل خاضعة للسلطة الاسبانية، يعرفون باسم "عرب السلام" يدفعون كل سنة جزية يدعونها الرومية، وهي عبارة عن كمية من القمح يبلغ مقدارها اثنين من الدوبلات عن كل دوار و مقابل هذه الجزية ينال الدوار الامان لمدة سنة(1).

كان الشيخ المسؤول عن الدوار يجمع تلك الجزية من السكان حسب أهميتهم و يدفعها للحاكم الاسباني، و يتقاضى مقابل مايقوم به من أعمال لخدمة المآرب الاسبانية مقادير مالية تتراوح مابين 60 و 100 دورو. ومن تلك القبائل الخاضعة نذكر: قبائل أولاد عبد الله و أولاد قلطة و العزمى و الغروزي و أولاد جسلي.

أما القبائل التي لا تدفع الجزية و هي قبائل عاصية لا أمان لها، تكون عرضة في كل وقت للغارة عليها، و أخد أموالها و مواشيها و استعباد رجالها و نسائها ، و من تلك القبائل العاصية نذكر: أولاد زعبير و حميان و جماعة بني راشد(2).

المطلب الثاني: الفتح الأول لمدينة وهران

عمل الأسبان منذ الوهلة الأولى من احتلال مدينة وهران على ترميم أسوار المدينة و إنشاء نقاط دفاعية جديدة مثل: برج المونة أو برج اليهودي، وبرج لوس سانتوس، وبرج المرجاجو وغيرها(3). وتم تطويق مدينة وهران المشتملة على كل المساحة التي بين مستغانم و تلمسان بمدافع العدو و أخذ في التضييق عليها حتى اضطرا أهلها إلى مغادرتها، و انتقل الحاكم التركي منها إلى مستغانم(4).

في الوقت نفسه عين على رأس بايليك الغرب الباي مصطفى بوشلاغم الذي نقل مركز البايليك من مازونة إلى معسكر ليكون قريبا من المركز الاسباني بوهران، و أخذ يستعد لتصفية

(1) عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج 3، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص ص: 217،218.
(2) المرجع نفسه، ص ص: 218،219.
(3) لخضر درياس: **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، ط 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 164.
(4) عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 211.

وجودهم بوهران و المرسى الكبير[1]، وقد بدأ الباي سنة 1704م بحصار أصبح أكثر فعالية عندما جاء رجال البربر و العرب للمشاركة في قواته، و بنهاية تلك السنة أصبحت وهران مقطوعة من جهة البر و معتمدة في تموينها على البحر[2]. و عندما أصبح محمد بكداش[3] دايا بالعاصمة وجد فيه الباي مصطفى بوشلاغم السند و المشجع لتحرير وهران من الأسبان.

و قد جهز الداي لغزوها جيشا بلغ ثمانية آلاف و نصف جندي نظامي بالإضافة إلى المتطوعين الذي زاد عددهم عن الجيش النظامي بأضعاف مضاعفة[4]، وشارك كذلك طلبة العلم و تلامذة المعاهد و الزوايا، و أمدهم الداي بجميع أنواع الأسلحة و العتاد من مدافع و مهارس[5] و بنادق و سيوف و خناجر و من البارود نحو ثلاثة آلاف و ثلاثمائة قنطار و أعطاهم الذخيرة.

كان خروج المجاهدين من رجال الجزائر و من جماعات المتطوعين فاتح ربيع الأول 1119هـ / 2 جوان 1707م[6]، فكانت القيادة العليا بيد أوزون حسن، و كانت إدارة العمليات يشرف عليها الباي مصطفى بوشلاغم[7]، ونظرا لتعذر النزول بوهران أرسى الأسطول الجزائري بساحل أرزيو وتمركز بالشاطئ نحو ثلاثمائة و عشرين فسطاطا، و قاموا بتوجيه مدافعهم و مهارسهم نحو ثكنات العدو.

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 53.

(2) جون ب ، و ولف: المرجع السابق، ص 376.

(3) **الداي محمد بكداش**: هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد النكيد،نسبة الى "نكيدا" حيث تربى و نشأ نشأة علمية دينية، وبكداش لقب تركي معناه الحجر القاسي لقبه به والده صغيرا، وصفه كل من أرخ له بالتقصي و العلم و قيل عنه أنه عالم الأمراء و أمير العلماء، عين دايا سنة 1707م و قتل من طرف الانكشارية سنة 1710م. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص ص: 209،210.

(4) عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص 25.

(5) **المهارس**: تكون على صورة المدفع إلا أن كورها التي تقذفها تعرف باسم البونية، توضع كورة المهارس فارغة القلب على هيئة القدر تملأ بالبارود ثم يوضع في فمها فتيل مشعل مقدر بتقدير لا ينفد قبل نزوله في المكان المقصود، عند رميها من المهراس تصعد إلى عنان السماء و تنزل في المكان المقصود فتنفجر. أنظر: عبد الرحمن الجامعي: المصدر نفسه، ص ص: 26،25.

(6) عبد الحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 212.

(7) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492–1792**،عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 426.

أما الجيش الاسباني فكان تحت قيادة الجنرال "ميلشيورود وأفيلا"[1] الذي وصلته الإمدادات من مالطة أثناء المعركة، حيث حلت بمرسى وهران سبع سفن تحمل على متنها مددا مؤلفا من أشد مقاتلي مالطة، و بعض المتطوعين الفرنسيين، مما رفع معنويات الأسبان[2].

رغم التحصينات الجيدة لمدينة وهران و استماتة القوات الاسبانية في الدفاع عنها ، إلا أن قوات المجاهدين قامت بمهاجمة تلك التحصينات و كانت أول الأبراج التي فتحت هي برج العيون الذي فتحه الباي مصطفى بوشلاغم مساء يوم الثلاثاء 10 جمادى الثانية1119هـ/ديسمبر1707م[3] وقد أسر بعد فتح حصن برج العيون 322رجلا من الأسبان، و60 رجلا من عرب حيدرة أنصارهم، وجرح 27 رجلا، وقتل 40 رجلا من الاسبان. بالإضافة إلى الغنيمة التي كانت كميات كثيرة من السلاح و الأطعمة و الذخيرة، أما عدد شهداء المسلمين فقد تجاوز المائتين[4].

بعد ذلك توجه المجاهدين إلى حصار برج مرجاجو فضيقوا على أهله الحصار و فتحوه يوم السبت 27 جمادى الثانية/26 سبتمبر وامتلك المسلمون جميع ما احتوى عليه الحصن من سلاح و ذخائر و تموين، و قبضوا على 107رجال و 3نسوة[5]، و يوم الثلاثاء 5شعبان/1نوفمبر حاصر المجاهدين حصن برج ابن زهوة و هلك من جيش العدو كل من احتوى عليه الحصن تقريبا.

تعتبر الأبراج الأولى التي فتحها المجاهدين من أهم التحصينات الدفاعية التي تشتمل عليها مدينة وهران لينتقل بعدها القتال إلى المدينة، حيث يذكر الجامعي:"لما فتح الله البروج الثلاثة بقيت المدينة من الناحية الغربية مهتوكة الأستار مخلوعة الغدار و لم يبقى لها ساتر سوى البرج الجديد[6]"

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 212.

[2] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 427.

[3] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 213.

[4] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص: 427،428.

[5] لخضر درياس: المرجع السابق، ص 169.

[6] **البرج الجديد**: يعرف أيضا باسم برج الصبايحية، بني مابين سنة 1697/1692م قرب باب الجيارة مابين رأس القصر و برج رأس العين، أقامته كافرة بتسعين الف ريال كبيرة صدقة من مالها، سقط في يد الباي بوشلاغم 26شوال1119هـ/1708م وأسر به حوالي600 رجل.أنظر:لخضر درياس: المرجع السابق، ص 170.

الذي عمل المجاهدين على فتحه هو الأخر، فمدوا المتارز للمدينة فانقطع البرج عن المدينة و قطعوا بينه و بين البرج الأحمر الذي تمكن منه المجاهدين هو الآخر بعد الهجوم عليه ليلا[1].

بعد دخول وهران بقيت مدينة المرسى الكبير محصنة منيعة التجأ إليها كل من استطاع الهرب من الأسبان، فتحول بذلك ميدان القتال إلى المرسى الكبير الذي لم تكن المواجهة فيه هينة حيث احتدمت الحرب و اشتد لهيبها، و ما كان أشد وقعا على المجاهدين هو مقاومة إخوانهم في الدين إلى جانب الأسبان و هم قبائل من شافع و جيزة و حميان وبني عامر[2].

رغم كل ما بذله الأسبان و كل التحصينات لم يضعف ذلك من عزيمة الجزائريين الذين استولوا على المدينة بقيادة الباي بوشلاغم يوم 13 محرم1119هـ/15مارس 1708م، و عملوا على إنشاء بنايات جديدة و ترميم بعض النقاط الدفاعية المتضررة بفعل المعارك[3].

أما القتلى الأسبان في هذه الحرب فقد بلغ عددهم ثلاثة آلاف، و أسر نحو إحدى و ستين و أربعمائة ألف نسمة، و استولى المجاهدين على جميع الغنائم و الذخائر من أجهزة حرب و عتاد قتال[4] وبعد هذا الانتصار العظيم الذي فجر قريحة الشعراء و شحذ السنة الخطباء أرسل الداي محمد بكداش كبار الأسرى الأسبان إلى السلطان العثماني، و هكذا انتهى حكم الاسبان بوهران بعد أن البقاء فيها مدة طويلة من سنة 914_1119هـ/1508_1708م[5].

---

(1) عبد الرحمن الجامعي: المصدر السابق، ص ص: 117،120.

(2) **بني عامر**: نسبة إلى عامر بن معاوية بن أبي بكر بن مروان و هو بطن كبير من مصر كانوا متفرقين في صقاع الجزيرة العربية ثم رحلوا إلى نواحي الشام و مصر و هاجروا إلى المغرب الإسلامي و استقروا بالمغرب الأوسط إبان الهجرة الهلالية. أنظر: المصدر نفسه، ص 137.

(3) LESPES René : **Oran, Ville et Port Avant L'occupation Française 1830**, R.A ,1934,p 306.

(4) عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص215.

(5) بعلي حفناوي: **دليل الأنيس و الجليس في رجالات و شهيرات موطن العناب و الأحباب**، ط 1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2009، ص 45.

المطلب الثالث: التحرير النهائي لمدينة وهران

بعد الانتصار الذي حققه الباي مصطفى بوشلاغم عهد الداي محمد بكداش عمل الأسبان بكل الوسائل من أجل تعويض هذه الخسارة الكبرى، لتأتي الفرصة لاستعادتها بعد استمالة حسين بن علي باي تونس الذي ارتبط مع ملكهم فيليب الخامس بمعاهدة سنة 1143هـ/1731م لمهاجمة وهران[1].

فأعدوا حملة استغرقوا في تجهيزها قرابة الثلاث سنوات[2] احتوت على خمس و عشرين و خمسمائة قطعة بحرية تحمل نحو الثلاثين ألف مقاتل، و بها من العتاد الحربي 720مدفعا ومن القنابل 16420قنبلة، و من البنادق 12000 بندقية، ومن البارود12427 قنطارا و 8000 صندوقا لرصاص البنادق.و زحفوا بعد ذلك على المدينة و خرج المجاهدين و عددهم نحو الأربعة آلاف مجاهد تحت قيادة الباي بوشلاغم، فكانت المواجهة و كاد ينتصر المسلمون لولا خيانة بعض الأعراب من قبيلة بني عامر[4]، مما أدى إلى سقوط المدينة مرة أخرى في يد الأسبان سنة 1145هـ/1732م و أعيد النظر كلية في التحصينات الدفاعية لها[5].

تأثر الداي بابا عبدي[6] جراء هذه الهزيمة و لازم بيته حتى توفي في العام الموالي، أما الباي بوشلاغم لم يستطع أن يرد الأسبان لعدم وجود قوات كافية و اضطرا للانتقال من وهران إلى معسكر واقتدى به السكان الذين لم يكن عددهم كبير، فدخل الأسبان وهران وهي خاوية على عروشها[7].

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 225.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 53.

[4] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 225.

[5] لخضر درياس: المرجع السابق، ص 165.

[6] **الداي بابا عبدي**: يلقب بالكرد و الأعور، تقلب في وظائف إدارية و عسكرية كثيرة، إرتقى الى منصب باي تيطري، ثم أصبح دايا يوم 15مارس 1724م، أول أعماله القضاء على الفوضى و ماكان حاصل من تمرد رؤساء القبائل المنشقة عن الحكومة، توفي 3سبتمبر 1732م. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 222.

[7] المرجع نفسه، ص 225.

سنة 1785م كانت الاتفاقية المبرمة بين اسبانيا و الجزائر و التي تنص على جلاء الاسبان من وهران و المرسى الكبير، لكن الأسبان طمعا في الحصول على امتيازات لإنشاء مراكز تجارية تلكأوا في ذلك. مما جعل الحكومة الجزائرية ترفض مطالب الاسبان و تزيد في تضييق الخناق عليهم بوهران[1].

حيث حاصرها باي الغرب ابراهيم في نهاية سنة 1189هـ/1775م، و واصل ذلك خلفه خليل الذي تمكن شهر اكتوبر 1191هـ/1777م من الزحف إلى الحصون الاسبانية، ليكمل المهمة الباي محمد الكبير سنة 1199هـ/1884م الذي أرغم الاسبان على المواجهة في معركة خارج أسوار المدينة و تمكن من قطع المسالك المائية التي تمون المدينة، حتى تمكن من احتلال البرج الأحمر[2].

لكن الأوضاع لم تكن في صالح الأسبان حيث وقع ليلة الثامن و التاسع أكتوبر 1790م زلزال بمدينة وهران بهزات أرضية متتابعة حطمت عدد كبير من البنايات و قتل فيها 3000 شخص[3]، يصف ابن زرفة ذلك بقوله:"مدينة وهران قد زلزلت أركانها و دكت دورها و حيطانها و أن النصارى أخزاهم الله قد خيموا خلالها بأبراجهم في الفساطيط و الخيام، وعبا بما حل بهم من وابل الانتقام"[4].

و كان الزلزال الذي حدث بوهران و كبدها خسائر فادحة إلى جانب هجوم قوات الباي محمد الكبير المتواصل، حيث قام هذا الأخير باتفاق مع علماء معسكر و ضواحيها بجمع الطلبة و المدرسين و قراء القرآن في الرباط الذي كان بجبل المائدة قرب وهران، حتى يقطع الطالبة الذين زاد عددهم على خمسمائة طالب الأسلحة و المؤن التي تأتي من الخارج للأسبان[5]. من الأسباب التي جعلت اسبانيا تزيد في إلحاحها على طلب الصلح.

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي: المرجع نفسه، ص 270.

(2) مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 239.

(3) المهدي بن شهرة: **تاريخ و برهان بمن حل بمدينة وهران**، ط 1، دار الريحانة، الجزائر، 2007، ص 151.

(4) محمد مصطفى ابن زرفة الدحاوي: **الرحلة القمرية**، تح: مختار حساني، ج 2، جامعة الجزائر- مخبر المخطوطات، الجزائر،2003، ص254.

(5) محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص 176.

وكان لها ذلك بعد وفاة الداي محمد عثمان[1] يوم 10 ذي القعدة 1205هـ/12 جويلية1791م، وخلفه الداي حسان الذي استجاب لطلب اسباتيا بالصلح و التخلي عن قاعدتها العسكرية بوهران مقابل منحها مركزا تجاريا في جمعة الغزوات[2].

بعد حصار ثلاثة أشهر دخل الباي محمد الكبير وهران يوم5 رجب 1206هـ/29 فيفري 1792م، بعد قبول الداي الصلح مع اسبانيا على مجموعة من الشروط نذكر منها: دفع مبلغ سنوي للجزائر قدر ب 120000فرنك، و تحمل سفينة اسبانية بصفة رسمية مفتاحين ذهبيين رمز استسلام وهران و المرسى، مع جرتين من ماء عيون وهران، لسلطان العثماني كبشرى بالفتح[3]. وقد استبشر السلطان بذلك و أرسل إلى الداي حسان باشا الخلعة و التقليد[4].

المبحث الثالث: مآثره و إنجازاته

المطلب الأول: منشآته العمرانية

تجسدت المنشآت العمرانية للباي محمد الكبير في بنائه للمساجد و المدارس بشكل كبير إلى جانب اهتمامه بتجهيز المرافق الضرورية للحياة من خلال بناء المرافق العامة بعواصم بايليك الغرب وقد زاد تشييد هذه البنايات الضرورية للحياة لاسيما منها الدينية و الاجتماعية في تعمير البايليك و خاصة تعمير مدينة وهران بعد الخراب الذي لحقها جراء الزلزال الذي تعرضت له سنة 1790م. فبمجرد ما دخل الباي وهران شرع في تعمير المدينة بحرفيين جاءوا من مليانة، المدية، تلمسان، ووفر

---

[1] **الداي محمد بن عثمان**: إمتد حكمه فترة طويلة من 1766 إلى غاية1791م، عمل قبل أن يصبح دايا على الجزائر خوجة النوباتية الذين كانوا يشكلون حرس الداي وعمل خزناجيا، عرف الغرب الجزائري في عهده حركة نشيطة في مختلف المجالات، خاصة منها بداية حصار وهران الذي انتهى بطرد الاسبان، بالإضافة الى عدة أحداث هامة منها الحملة الاسبانية على مدينة الجزائر1775م، وفي عهده برز البايان الكبيران الباي محمد الكبير بالغرب وصالح باي في الشرق، والشخصيات الثلاث كانت على جانب كبير من الحنكة السياسية في إدارة شؤون البلاد.أنظر:صالح فركوس: **مختصر تاريخ الجزائر(من الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق م–1962)**، دار العلوم، الجزائر، 2005، ص 131. وأنظر: صالح عباد: المرجع السابق، ص 164.

[2] مبارك الميلي: المرجع السابق، ص240.

[3] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 489.

[4] أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 63.

لهم التسهيلات المالية[1]، ويذكر الآغا بن عودة المزاري ذلك في كتابه بقوله:" ولما استقل قدمه رحمه الله بها جمع لسكناها الناس من كل فج و مكان، وأمرهم بتعميرها ليتم في الغاية الايمان، فبعضهم بالاقطاع و بعضهم بالبيع بلا نزاع، إلى غير ذلك من الوجوه الصادرة من أمير المؤمنين و ثمن المبيع عمر به بيت مال المسلمين"[2].

أولى منشآت الباي العمرانية كانت هي بنائه بالموضع الذي وقف به فرسه مسجدا لصلاة الخمس و الجمعة ويعرف المسجد عند الناس بجامع بالناصف، ثم بنى سنة 1792م قبة البرج الأحمر التي زادت له رونقا[3].

أما أشهر المنشآت العمرانية التي تم تشييدها على يديه فهي جامع الباي في خنق النطاح الذي أسسه سنة 1793م، والذي كان بمثابة مثوى و ضريح له ولأهله بعد وفاته[4] و قام الباي محمد الكبير بمخطط من أجل توسيع وهران آنذاك من خلال توصيل القنوات و توزيع الأراضي لاعمار و هران الجديدة المطلة على واجهة البحر[5].

كما قام الباي محمد الكبير بالإشراف على بناء مسجد الباشا الذي تم تأسيسه سنة 1796م بأمر من الداي حسن تخليدا لفتح وهران الأكبر، يقال "أن الباشا حسن لما بشر بفتح وهران سر سرورا و لما رأته زوجته فاطمة و خالتها حل به الطرب العظيم قالتا له: كان اللائق بك لإتمام سرورك أن تبني بها جامعا عظيما يبقى ذكرك به مخلدا في الألسنة فعند ذلك أمر الباي ببنائه و بعث له بصندوقين، ممولين مالا واحدا بعد واحد ليصرف ذلك في البناء"[6]. وقد تم بناء المسجد بجوار القصر الأحمر، وحبس عليه عدد كبير من المتاجر و الحمامات كما تشير إلى ذلك اللوحة الرخامية التي نقش

---

[1] Djamel Souidi : op cit, p74.

[2] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 294.

[3] محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 202.

[4] يحي بوعزيز: **موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب**، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 119.

[5] المهدي بن شهرة: المرجع السابق، ص 166.

[6] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 296.

عليها تاريخ تأسيسه، وأوتي بالماء إلى المسجد من عين جارية قريبة منه والمسجد غاية في الجمال و الإتقان[1].

أما مدينة معسكر فتشهد هي الأخرى له بالبناء و التعمير و الإصلاح بعد أن اتخذها الأتراك عاصمة لأيالة الغرب الجزائري بلغت أوج عظمتها و عرفت أزهى أيامها فترة حكم الباي محمد الكبير الذي أقام بها المدارس و المساجد وشيد بها المرافق العامة فقصدها العلماء و الطلبة[2].

قام الباي بإعادة بناء مسجد معسكر العتيق بعد هدمه و توسيع مساحته وإحداث خمسة أحواض للوضوء به جلب لها الماء عبر قنوات و سواقي، و غير محراب المسجد بمحراب آخر بديع الصنع، كما شيد بمعسكر الجامع الكبير الذي يحمل اسمه و الذي يعرف لدى السكان بجامع العين البيضاء و الحق به مدرسة كبيرة، جلب له الماء عن طريق القنوات و أقام به ستة عشر حوضا للوضوء[3].

وقد جهز المدينة كذلك بالمرافق الضرورية للحياة بإنشاء المرافق العامة، حيث قام ببناء الفندق الجديد، والسوق القديم داخل أسوار المدينة، بالإضافة إلى الحمام المعروف بحمام الأدهم و المقبرة المخصصة لرجالات معسكر، ومخبزة وعدة دكاكين تجارية و إقامته العديد من العيون في مختلف أحياء المدينة، وقد جلب الماء الصالح للشرب بواسطة السواقي و القنوات، وخصص أوقاف كثيرة على هذه المرافق العامة حتى تؤدي خدماتها على أكمل وجه، و الهدف من ذلك كله هو خدمة سكان المدينة و إعطائها مظهر عاصمة فخمة[4].

المطلب الثاني: إنجازاته الثقافية

اهتمام الباي محمد الكبير بالتشييد و البناء كان إلى جانب حرصه الشديد على الثقافة والمثقفين من خلال الاهتمام بالعلماء وطلبة العلم الذي يظهر في اعتنائه ببناء المدارس التي وفر بها

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 120.

(2) عدة بن داهة: المرجع السابق، ص 54.

(3) ناصر الدين سعيدوني: دراسات و أبحاث، المرجع السابق، ص 248.

(4) المرجع نفسه، ص 249.

المؤن، وهيأ فيها الوسائل المساعدة على المضي في طلب العلم و اكتناز المعرفة، حيث نجده "محبا للطلبة ولذلك بنى لهم مدرستين الأولى بالمعسكر و الثانية بوهران"[1].

إنجازات الباي محمد الكبير الثقافية كانت من خلال القيام أول شيء ببناء المدارس،فكانت المدرسة التي أقامها بمعسكر أكبر شاهد ودليل على ذلك حيث ألحق هذه المدرسة بمسجده الذي يعرف باسمه، وحتى تؤدي رسالتها الثقافية رتب لها المدرسين والنظار، وخصص لها الاوقاف للانفاق عليها و زودها بمكتبة عامة جلب لها نفائس المخطوطات من جميع الاقاليم، يضف الى ذلك قيامه بتخصيص المدرسة للدراسات الاسلامية العليا قصد تخريج رجال الدين وموظفي البايليك[2].

كما قام ببناء المدرسة الجليلة و العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه[3]، وجدد بناء مدرستين بتلمسان وأرجع اليهما رونقهما، وأعاد لهما حبسهما القديم و زاد على ذلك، وكانت المدرستين مخصصتين للدراسات الدينية و الأدبية[4].

يضف الى ذلك إحسان الباي محمد الكبير للعلماء بالهدايا و الاموال وهو ما جعل حركة التاليف في فترة حكمه قوية، وأبرز الامثلة على ذلك المؤلفات المعاصرة التي ماتزال شاهد الى حد الان نذكر منها: كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن سحنون الراشدي، وكتاب "الرحلة القمرية في الاخبار المحمدية" لمصطفى بن عبد الله بن زرفة.

يتحدث صاحب الثغر الجماني عن إهتمام الباي بالمطالعة فيقول:" ولمحبة هذا الامير للعلم و الادب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها وينسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه وكثيرا ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه، وإذا انفض الناس انفرد بها فكانت له نعم الأنيس"[5].

---

[1] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص296.

[2] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 249.

[3] الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 295.

[4] أحمد بن هطال التلمسانى: المصدر السابق، ص27.

[5] أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 147.

لذلك نجده يحث على التاليف وتسجيل الاحداث يذكر صاحب الثغر الجماني عن ذلك مايلي:" وكم من تاليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به وافر بره، فمنها أنه أمر بعض الطلبة بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك فجمع له من ذلك رسالة اثابه عليها بسبعين دينارا"،"ثم أمرني(ابن سحنون) باختصار الاغاني فاختصرته في نحو الثمانين كراسة فأثابني بمائة سلطاني ثم أمرني ايضا بجمع طب القاموس فضممته وزدت عليه من كلام الاطباء ما صار به تاليفا بديعا حسن الترتيب فأثابني عنه بخمسين سلطانيا"، " وأمر السيد المصطفى بن عبد الله بتقييد الحوادث الواقعة فيما يتعلق بالجهاد وما يصل الطلبة من رزق وغيره"[1].

كان الباي محمد الكبير يعمل بكل الوسائل من أجل ازدهار الحياة الثقافية في عهده حيث نجده يجازي الشعراء،ويشجع الأدباء، ويحث على الإنتاج، وينصر الطلبة وأصحاب العلم على من عاداهم، يقال أنه لما رفعت له الشكاية بالطلبة وتكررت أمر بإخراجهم من وهران لينظر في ذلك فخرج الطلبة منه وانصرفوا عنها وصار ينظر إلى الطلبة من محله فلم ير من يلحقهم، فجاه آغة السيد قدور الكبير ابن إسماعيل البحثاوي وقال له لا يليق بك ولا بنا طرد الطلبة لأنهم يدعون ربهم بالغدوة والعشي وإنما اللائق من فعل ذنبا يستحق به العقاب عوقب ومن لا فلا والذين اشتكوا لك بهم يحفظون أهلهم من الأذية التي ادعوها دون إثبات فقبل منه وأمر بردهم لمحلهم فرجعوا ولما استقروا بمواضعهم ذهب لهم على فرسه بشواشه ودفع لهم مالا كثيرا"[2].

---

[1] أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 146.

[2] محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 205.

الفصل الثاني: الباي محمد الكبير

المبحث الأول: حياته و شخصيته

المطلب الأول: محمد الكبير مولده ونشأته

المطلب الثاني: صفاته وأخلاقه

المطلب الثالث: علاقاته الخارجية

المبحث الثاني: تحرير مدينة وهران من الاسبان

المطلب الأول: التواجد الاسباني بوهران

المطلب الثاني: الفتح الأول لمدينة وهران

المطلب الثالث: التحرير النهائي لمدينة وهران

المبحث الثالث: مآثره و إنجازاته

المطلب الأول: منشآته العمرانية

المطلب الثاني: إنجازته الثقافية

المبحث الأول: المناطق الجنوبية خلال الفترة العثمانية

المطلب الأول: سلطنة بني جلاب

تأسست إمارة بني جلاب بمدينة توقرت في القرن العاشر في أواخر أيام بني زيان و استولت على جميع ولاية وادي ريغ وهو فحص صحراوي متسع بجنوب عمالة قسنطينة، وقيام حكم بني جلاب بوادي ريغ الذي اتسعت في عهده مدينة توقرت تختلف فيه الروايات[1].

يقال أن رجلا ينتمي إلى أسرة بني مرين حكام المغرب الاقصى كان معتادا على الحج كل سنة وفي طريقه يمر بوادي ريغ أين كان يبيع السلع الفائضة على حاجته بعد إلحاح سكان المنطقة الذين طلبوا منه الإقامة ببلدهم جاء بكل أفراد أسرته وجلب معه ثروته وكل أملاكه واستقر في وادي ريغ.

بعد فترة من استقراره وحتى سنة 835هـ/1431م شهدت المنطقة جفافا لا نظير له أدى إلى انتشار المجاعة التي مست سكان وادي ريغ إلى درجة أنهم عجزوا عن توفير الغداء لأفراد أسرهم، لكن بفضل هذا الرجل الذي ينتمي إلى أسرة بني مرين تمكنت المنطقة من الخروج من تلك المجاعة الشديدة التي أصبتها، ومنذ تلك الفترة وسكان المنطقة اعترافا بالجميل تعهدوا بالولاء لرجل بني مرين الثري وأبنائه من بعده[2].

إن الرجل الثري المذكور في هذه الرواية هو حسب رواية الرحالة العياشي من بني مرين حيث قال:"وأمراء هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب، وأسلافهم من بني مرين، ووالدهم هذا كان من أمراء العدل على ما يحكى عنه"[3].

---

[1] عثمان الكعاك: **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة:أبو القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 2003، ص301.

[2] عبد القادر بوباية: **"قيام حكم بني جلاب بوادي ريغ"**، الملتقى التاريخي الثالث عن فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت-ورقلة، 1998، ص ص: 32-33.

[3] عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، 2006، ص122.

وهناك رواية أخرى مفادها أن شيخ منطقة وادي ريغ محمد بن يحي وقع اتفاق مع الشيخ سليمان المريني الجلابي مضمونها التخلي عن السلطة لسليمان الجلابي مقابل التنازل عن الديون التي كانت على سكان المنطقة جراء القروض التي قدمها سليمان لسكان وعجزوا عن تسديدها بعد الجفاف الذي أصاب المنطقة وأثر على المصدر الاقتصادي الرئيسي للمنطقة وهو زراعة النخيل[1].إنطلاقا من ذلك يقال أن مؤسس هذه الأسرة الحاكمة هو أول سلطان بتقرت الحاج سليمان المريني الجلابي[2].

يقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل طوله حوالي160 كم وعرضه يتراوح بين 30 و 40 كم يبتدئ شمالا من بلدة أم الطيور وينتهي جنوبا بقرية فوق، ويسمى إقليم وادي ريغ بهذا الاسم نسبة إلى ريغة إحدى بطون مغراوة، يتكون من حوالي 35مدينة تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ، العاصمة السياسية والعسكرية لإقليم وادي ريغ هي توقرت، أما العاصمة الدينية فهي مدينة تماسين[3].

أبرز ما وصل من معلومات عن المناطق الجنوبية خلال الفترة العثمانية يكون حول عمرانها وحياتها الاقتصادية والاجتماعية وهو في الغالب غير محدد زمنيا بدقة، وليون الإفريقي يقدم لنا صورة مصغرة عن الحياة بإحدى مدن وادي ريغ فيقول:" وفي تقرت نحو ألفين وخمسمائة كانون(عائلة) دورها مبنية بالآجر المشوي حاشا الجامع فانه وحده مبني بالحجر المنحوت الجميل، وهي عامرة بالصناع والنبلاء والأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل لكن القمح منعدم فيها، ويستورد من قسنطينة في مقابل التمر"[4] هذا فيما يخص سكانها وطريقة العيش بها.

---

[1] عبد القادر بوباية: المقال السابق، ص ص: 35-36.

[2] L.charles FERAUD : **les BEN –DJELLAB sultans de tougourt,** R.A, 1879, p 169.

[3] معاذ عمراني: **"تاريخ منطقة وادي ريغ من خلال أرجوزة الشيخ حقي محمد السايح التجاني التماسيني"**، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، الوادي، 2012، ص 309.

[4] حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983، ص135.

ويصف في موضع آخر عاصمة وادي ريغ فيقول:" توجد حول تقرت عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة، وكلها خاضعة لأمير تقرت الذي أصبح يجبي منها مائة وثلاثين ألف مثقال، ولهذا الأمير حرس قوي من الفرسان ورماة القذائف والبنادق الأتراك"[1].

توقرت تعتبر عاصمة للثروة خلال العصور الحديثة، تشتمل على ثمان وثلاثين قرية أهمها كونين التي تلتقي بها القوافل التجارية المتوجهة إلى الجريد، فتوقرت من الأسواق المهمة بالجنوب الجزائري يساهم تجارها في نقل الأقمشة الصوفية والمنتوجات المتواجدة بها إلى الجنوب التونسي ويجلبون المواد العطرية والأقمشة القطنية المستوردة من تونس[2].

كما توجد إلى جانب مدينة توقرت بوادي ريغ مدينة تماسين[3] التي تعرف بجمال عمران مساجدها التي تعتبر من أجمل مساجد تلك النواحي وهي مبنية من اللبن المقوى بجذوع النخل ولها صوامع عالية ذات تخطيط جميل، فهي أي تماسين قاعدة وادي ريغ ومسكن أمرائها أولاد جلاب[4].

أما سكان مناطق وادي ريغ فترجع أصولهم إلى ثلاثة عناصر أساسية تولد عنها عنصر رابع وهذه العناصر هي: أولا- الرواغة وهم أغلب سكان وادي ريغ الذين تسمى بهم الإقليم ينتسبون إلى قبيلة زناتة البربرية، ثانيا- العرب الذين وفدوا على المنطقة من الزيبان والجريد التونسي والمغرب ينقسمون الى عرب رحل وعرب مستقرين يعيشون على الفلاحة ويسكنون الدور المبنية بالطوب والأحجار، نذكر من تلك القبائل التي استقرت بوادي ريغ العبادلية والفتايت وأولاد السايح. ثالثا- الزنوج وهم من أبناء العبيد الذين جاء بهم تجار النخاسة الذين جعلوا من سوق تقرت نقطة عبور نحو

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 135.
(2) مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية– مدن الجنوب**، ج 2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 207.
(3) **تماسين**: تعني العين النابعة أي الجارية. أنظر: معاد عمراني: المقال السابق، ص 310.
(4) مختار حساني: المرجع السابق، ص ص: 207-208.

الشمال، أما رابعا- المولدون وهم خليط من الدماء العربية أو البربرية بالدماء الزنجية نتيجة التزاوج ينتشرون في كامل قرى وادي ريغ وبطول الزمن اندمجت جميع هذه العناصر في بوتقة واحدة[1].

أما سلاطين بني جلاب الذين حكموا المنطقة فبعد المؤسس الأول الحاج سليمان المريني خلفه بعد موته ابنه علي ثم بعده ابنه السلطان أحمد وبعده السلطان عمر ابنه وبعده أخوه السلطان سليمان ثم ابنه احمد الذي تم في عهده فتح مدينة توقرت من طرف الأتراك[2].

المطلب الثاني: الأغواط و ورقلة

تقع الأغواط جنوب الجزائر العاصمة وتبعد عنها بأكثر من أربعمائة كيلومتر يجتاز منطقة الأغواط وادي أمزي الذي يأخد مجراه من جبال عمور غربا ويتوجه نحو الشرق، تشتهر ببساتينها الغناء المنتشرة في الشمال والجنوب، يطوف بها سور منيع ويقطع المدينة وادي الخير المتفرع عن وادي إمزي الذي يعمل على سقي المدينة وتخصيب تربة الحدائق التي تنبت فيها خيرات كثيرة[3].

ينقسم سكان الأغواط إلى فريقين، فريق يسمى الأحلاف، وفريق يسمى أولاد سرقين، وهم دائما في حالة حرب بينهم والسبب في ذلك رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة، كما ينقسم سكان تاجموت التي لا تبعد كثيرا عن الأغواط هي الأخرى إلى قسمين وهم في حرب وصراع دائم فيما بينهم[4]. يحتوي إقليم الأغواط على القصور التالية: مدينة الأغواط، العسافية، قصر الحيران، الحويته، تاجموت، عين ماضي[5].

أما عمران مدينة الأغواط فقد شيد بطريقة تلائم البيئة والأوضاع المناخية للمنطقة حيث بنيت مثل المدن الصحراوية على مخطط سهل، المنازل بها عالية تمتد طوابقها العليا فوق عرض الشارع

---

(1) عبد الحميد قادري: **"التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ ايام بني جلاب"**، الملتقى التاريخي الثالث عن فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، الملتقى السابق، ص ص:20-22.

(2) L.charles FERAUD : op cit, p 170.

(3) إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 106.

(4) رابح رمضان: **"جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي"**، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، ص ص:204-205.

(5) إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 106.

لتحول دون وصول أشعة الشمس إليه، وكانت مبنية بالطوب وشورعها ضيقة وكثيرة المنعطفات وبها طرق مسدودة، وأزقة مسقفة تقوم المحلات على جانبها وفنادقها تتوسطها الأعمدة، وبها شارع رئيسي بنائه مختلف وتتمركز به الحركة، يبدأ من الباب الشرقي وينتهي عند الباب الغربي،شارعها الرئيسي يحتوي على عدد من الدكاكين، والمقاهي وبها حوانيت تبيع الحناء والكحل والتوابل ودكاكين صغيرة تباع فيها الأقمشة[1].

وقد وصل العثمانيين إلى الأغواط منذ القرن السادس عشر وكان ذلك فترة حكم حسن باشا بن خير الدين 1544-1587م، حيث كانت منطقة الأغواط وحتى جبال عمور المتاخمة لعين ماضي تحت حكم باي التيطري رجب الذي عينه الداي حسن باشا على رأس البايليك[2].

ومنذ سنة 1727م زاد تغلغل التواجد العثماني بالأغواط بعد أن خضعت هذه المرة إلى باي المدية شعبان زناغي الذي فرض على سكان المنطقة ضريبة سنوية تقدر بسبعمائة ريال، و كانت هذه الضرائب بمثابة عقوبات مالية على الأهالي[3].

أما منطقة ورقلة فهي الأخرى من المناطق الجنوبية البارزة خلال العهد العثماني وذلك لما تتمتع به من موقع جغرافي إستراتيجي، كونها تقع في مفترق الطرق مما جعلها الرابط لطرق التجارة الصحراوية بين الشرق والجنوب الشرقي[4]،فهي تقع إقليميا في الجنوب الشرقي الجزائري وفي شمال الصحراء، تحدها شرقا منطقة وادي ريغ، وغربا منطقة وادي ميزاب، وفي الجنوب الغربي حاضرة المنيعة، وفي الجنوب الشرقي العرق الشرقي الكبير، وفي الشمال حاضرة الحجيرة[5].

---

[1] هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا**، ج 3، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص: 227-228.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 32.

[3] إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 111.

[4] عبد الحميد زوزو: **"الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي"**، مجلة الاصالة، عدد خاص، 1977م، ص 97.

[5] أحمد دكار: **حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1591/1883م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، 2010/2009، ص11.

ورقلة أثناء الفترة العثمانية كانت عبارة عن قصر صحراوي، مقام فوق مرتفع من الأرض يشرف على نخيل الواحة، يحيط به سور في أسفله خندق مملوء بالماء يرد المهاجمين ويبعد المغيرين، يتكون هذا القصر من ثلاث حارات، تتخلها طرق ومسالك وأزقة ملتوية تؤدي إلى أبواب المدينة السبع، [1].

سنة 1535م كانت البداية لدخول ورقلة تحت حماية الأتراك مقابل دفع الضريبة، وترسخ ذلك بشكل جيد بعد حملة صالح رايس على المنطقة سنة 1552م والتي أصبحت بعدها ورقلة تدفع إلى باي قسنطينة ضريبة سنوية قدرها 30عبدا[2].

سنة 1602م حكم ورقلة سلاطين بني علاهم، حيث تولى مولاي علاهم على ورقلة وكان من عائلة مغربية شريفة، أما سكانها فكانوا يسمون بالرواغة وهم مقسمين إلى ثلاثة عروش هي: عرش بنو واجين، وعرش بنو إبراهيم، ثم عرش بنو سيسين وهم ينتمون إلى الأصل البربري[3].

الحياة الاقتصادية بالمنطقة خلال العهد العثماني كانت مزدهرة خاصة التجارة بسبب المبادلات الموجودة للبضائع بين مناطق التل والهضاب مع الجنوب، ضف إلى ذلك تنوع المنتجات المصدرة والمستوردة[4]، فقد كانت منطقة ورقلة طيلة الفترة العثمانية تشكل مركزا رئيسيا لتجارة السودان ومحطة قارة لطريق الحج، ومنطلقا سهلا للتوغل في أعماق الصحراء[5].

أما الأعمال الفلاحية فقد تمثلت في نشاط اقتصادي يسد حاجيات الأهالي الذي ركز على غرس النخيل وبعض الفواكه المسقية، في حين الصناعة المحلية التقليدية تمثلت في الجلود والأصواف ومعدن الفضة ومادة صنع البارود والسروج والألجمة والأحزمة والأحذية والسيوف.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **"ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"**، مجلة الأصالة، ص 73.

[2] نيس بيلي: **تاريخ ورقلة دراسة حول تسلسل الأحداث التاريخية**، تر: علي إيدير، المركز الثقافي للوثائق الصحراوية وجمعية القصر للثقافة والاصلاح، 2011، ص ص: 7-8.

[3] رابح رمضان: المقال السابق، ص 206.

[4] عبد القادر موهوبي: **ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة**، دار البصائر، الجزائر، 2011، ص168.

[5] ناصر الدين سعيدوني: المقال السابق، ص72.

المطلب الثالث: منطقة وادي ميزاب

تحضى منطقة غارداية بموقع جغرافي طبيعي متميز ، حيث تشكل جزءا مهما من وسط شمال الصحراء الجزائرية وتقع المدينة على بعد 600كلم من العاصمة الجزائرية و800كلم عن مدينة قسنطينة شرقا وكذا مدينة وهران غربا ب800 كلم موقعها عبارة عن مفترق طرق مؤدية إلى الصحراء الكبرى[1].

وتوجد عاصمة الولاية في موقع استراتيجي يضم المدن السبعة وهي غارداية ،بني يزقن ،بنورة ،مليكة ، القرارة ،العطف،بريان إذ تقع في ناحية تسمى جغرافيا بشبكة مزاب وشكل هذه المنطقة جغرافيا يكون وحدة عجيبة ومتكاملة من حيث المظهر الطبيعي تجعل من الشبكة منطقة جغرافية طبيعية متميزة، تتربع على مساحة تقدر ب 86.105 كيلو متر مربع ، كانت غارداية مركزا للقوافل لكونها مفترق طرق تجاري في الصحراء الكبرى فهي تربط المدن الواقعة في الشمال بنظيرتها في الجنوب (السودان الغربي)[2].

يطلق على هذه المنطقة ثلاثة أسماء وهي : بادية بني مصعب –ارض الشبكة – وادي ميزاب[3]،وقد سميت ببادية بني مصعب لكونهم أول من عمر فيها ، حيث كانت تخترقها وديان ثلاثة على شكل جبال طويلة ويعترضها سلاسل ممتدة من الجبال شابهت من صورتها الشبكة ، فأطلق عليها أيضا ارض الشبكة ، أما كلمة ميزاب فقد تكون اسما لأحد الأودية الثلاثة وقد تكون اسما لفروع من قبيلة نفوسة[4].

---

[1] فتيحة كرم، خديجة جبريط: **الحركة الاصلاحية في منطقة غرداية 1882–1962**، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، 2010/2011م، ص 1.

[2] مصطفى إبراهيم رمضان: **خواطر حول الوضعية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في غرداية** ،دار نزهة الألباب، غرداية،ص10.

[3] حمو محمد عيسى النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، ج 1، مطابع دار البعث، قسنطينة، ص 12.

[4] معمر علي يحي: **الاباضية في موكب التاريخ** ،ج2،المطبعة العربية ،غرداية ،الجزائر ،1417هـ/1996م،ص429.

اعتمد سكان المنطقة على الفلاحة التي قامت على غراسة النخيل فكانت محور اقتصادهم، منها يعيش السكان وبعناصرها يتخذون سقوف منازلهم، ويصنعون أثاثهم وأوانيهم، وتحتها يزرعون بعض البقول والفواكه، كما قام بنو ميزاب بحفر الآبار وأحدثوا حول هذه الآبار حدائق النخيل.

والصناعات السائدة بالمنطقة هي صناعة مواد البناء من جبس وجير، وصناعة تسوية أخشاب النخيل للتسقيف، وخشب بعض الأشجار لصنع أدوات النسيج وأواني المطبخ، لكن الغالب هو استغلال جذوع النخيل للتسقيف وجريدها ستائر، ويصنع من أوراقها وأليافها حصائر وحبال وأقفاف وأطباق، هذا فيما يخص الصناعة أما التجارة فقد كانت تتم في سوق البلدة، وهي قائمة على المبادلات حيث يتبادل أهلها مع قوافل البدو منتوجاتهم[1].

العلاقة بين سكان منطقة وادي ميزاب والسلطة العثمانية كانت وطيدة والتبعية لها وثيقة وذلك لما كان للميزابيين من تعاملات تجارية تربطهم بالعثمانيين[2]، فالكثير من أبناء المنطقة كانوا يقصدون خلال العهد العثماني مدن الشمال الجزائري، للعمل وكسب المعيشة فيها، حتى أنهم شكلوا في هذه الأخيرة جماعة هامة، متميزة بنظامها، ونشاطها، وعلاقتها مع السلطة الحاكمة[3].

المبحث الثاني: حملات بايات الجزائر العثمانية نحو المناطق الداخلية

المطلب الأول: المحلة تنظيمها وطريقها

المحلة هي عبارة عن حكم متجول وهي جهاز متأصل في طبيعة السلطة لم يتمكن العثمانيون رغم تحديثهم لمؤسسات ونظم الايالة من الاستغناء عنه، المحلة لها وظائف متعددة لا يمكن حصرها في مجرد وظيفتها العقابية والتنكيلية ولا حتى في وظيفتها الجبائية.فالمحلة لم تكن مؤسسة جامدة بل كانت تتنوع وتتعدد، بتعدد وظائفها وتنوع أدوارها وأهدافها نجدها محلة للجباية ومراقبة السبل وصرف

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين- دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، المطبعة العربية، غرداية،1992، ص ص: 37-42.

(2) حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 226.

(3) عمار بن خروف: " **جماعة بني ميزاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني 1520-1830**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 1، المطبعة العربية، غرداية، 2006، ص 41.

الرواتب والثمرات للفرق المخزنية،والتفاوض المستمر مع القبائل المحاربة منها والمطيعة، ونشر العملة في عالم تسوده المبادلات العينية وهذا من حيث صبغتها المادية، أما صبغتها المعنوية والرمزية فتمثلت في إبراز أبهة الحكم وهيبته أمام السكان وتعهد شرعية السلطة، وتجديد المبايعة لها وتفقد شبكات الولاء.

والمحلة بالجزائر كان يختص بها البايات بينما الداي يكون دائم الاستقرار بالعاصمة في حين يفوض لبايات الأقاليم التجول باسمه وباسم السلطان العثماني في مقاطعاتهم، عكس بقية بلدان المغرب التي كان حاكمها المركزي هو الذي يتكفل بالخروج بالمحلات[1].

كان خروج المحلات بالجزائر الموجهة لشرق البلاد وغربها من أجل جمع الضرائب في أوقات الحصاد ويكون ذلك بعد استقصاء المعلومات التي يوفرها الشواف العارف بمضارب خيام القبائل[2]، وكانت هذه المحلات لا تستخدم الاستعراض لإظهار أبهة الملك وفخامة السلطة، بل يتم الاكتفاء بإقامة ذلك عند أداء الدنوش الذي يشرف عليه الخزندار حيث يتم إعداده بكل مايحتاجه الباي ويكون السير فيه وفق مخطط والطريقة التي توضع بها محلة الدنوش تكون هي الأخرى وفق مخطط غاية في التنظيم والتنسيق، كما يرافقها فرقة موسيقى تعزف بالمزامير والطبول طول طريق المحلة[3].

وهذه المحلات هي عبارة عن حملات عسكرية تعتمد على قبائل المخزن[4]والفرقة التركية (اليولداش) والتي لا يتجاوز عدد أفرادها في أغلب الأحيان 270 جنديا، فتدعمها قبائل المخزن بأعداد وفيرة من الفرسان، وبذلك يتم تكوين قوة ضاربة يتراوح عدد رجالها بين 5000 و1000

[1] محمد الحبيب العزيزي: **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث: المحلة التونسية أنمودجا**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص ص: 4-41-46.

[2] أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007، ص 62.

[3] أحميدة عميراوي: المصدر السابق، ص ص: 43-46.

[4] **قبائل المخزن**: هي القبائل المتحالفة مع السلطة، كانت تتمتع بامتيازات عديدة مقابل التزامات وخدمات تؤديها للسلطة وهذه القبائل كانت بها مجموعات تختلف عن بعضها باختلاف خدماتها، نجد فيها جماعة الإقطاعيين التي منحت اقتطاعات، وتوجد مجموعة المخازنية التي كانت تحظى بحق استغلال الأرض وتعفى من الضرائب مقابل خدماتها العسكرية، بالإضافة إلى عناصر أخرى تتمتع بامتيازات محدودة. أنظر: عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص: 229-230.

رجل على رأسهم الباي وآغا المحلة، وهي مقسمة بتنظيم إلى مجموعة خيام كل خيمة منها تضم فصيلة يشرف عليها شاوش[1].

تتألف المحلة من القوى المحلية التي تمثلها قبائل المخزن ومن الفرقة التركية التي تتمثل في الانكشارية كما ذكرنا سابقا، لكن الانكشارية التي تعتبر من القوات المكونة للمحلة التي يستعين بها الباي من أجل إخضاع المتمردين والمتملصين من دفع ما عليهم من ضرائب كانت تأتي من الجزائر وهي الأخرى لها محلتها الخاصة.

إن الانكشارية التي تخرج من الجزائر العاصمة لتساند محلات البايات تعتبر النواة الأولى للمحلات، تخرج في محلة خاصة تعرف بمحلة الوجق الانكشاري بإذن الداي وبموافقة آغا العسكر الذي يكون على رأس الجند الانكشاري، فيشرف على تنظيم مصاريف المحلة ومداخيلها ويساعده كاتب مهمته حمل دفاتر تنص على أسماء الفرق والمجموعات القبلية المعنية بخروج المحلة[2].

ويذكر الشريف الزهار عن خروج محلة الانكشارية رفقة خلفاء البايات فيقول:" الخلفاء يأتون في آخر الربيع، فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار. وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين. فأما محلة الغرب فتخرج في أبريل وتقيم أربعة شهور. ومحلة الشرق تخرج في اليوم الأول من الصيف وتقيم ستة شهور"[3].

تحمل محلة الوجق الانكشاري في طريقها من الجزائر العاصمة إلى البايليك رايات مربعة الشكل، يرافقها طاقم موسيقى يعزف الموسيقى العسكرية الانكشارية، ويقال أنه عند عودتهم إلى الجزائر يجلبون معهم إبلا وبغالا محملة قمحا وعسل وسمن وتين وتمر وعنب مجفف يبيعونها في أسواق الجزائر[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر، ص 122.

[2] محمد الحبيب العزيزي: المرجع السابق، ص 60.

[3] أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص: 35-36.

[4] محمد الحبيب العزيزي: المرجع السابق، ص ص: 62-66.

أما بالنسبة لمحلة البايات الموجهة نحو المناطق الداخلية من أجل استخلاص الضرائب وإخضاع المتمردين كان لها هي الأخرى تنظيمها الخاص حيث يخرج الباي كما يصفه ابن هطال التلمساني "وسط جموعه وقواده، ولم يزد على أن كان جيشه حشمه وخدامه. بقومه وعسكره من المعسكر التي هي محل وطنه"[1].

النواة الأساسية لمحلة الباي هي موكبه الذي تتقدمه فرق الطبول والزرنات والرايات، هذا الموكب يكون محاط بفرق الزمالة وفرق الدوائر وفرسان القبائل وفرق المكاحلية والشواف، تلتف حوله مثل أحزمة متتالية في شكل دوائر ثلاث، وعند النزول يتم نصب خيام المحلة بحسب مراتب الفرق والقواد تتوسط خيمة الباي المحلة ويحيط بها سور من القماش يسمى الوطاق، يقف أمامه أربعة شواش من العرب وأربعة شواش أتراك ينفذون أحكام الباي في رعاياه[2].

وأثناء سير المحلة هناك تنظيم خاص يجب مراعاته، قبل المحلة نجد فرق الطوالع التي تستكشف طريق المحلة وتبحث عن أماكن القبائل المطلوبة لدى المحلة، أما ميمنة المحلة فيترأسها قائد قبيلة الفليتة وتتكون من فرسان قبائل الأحرار القادمين من شرق البايليك وغربه تتبعهم الابل والبغال الحاملة لخيامهم وعتادهم، وميسرة المحلة يترأسها خليفة الباي الذي يشترك معه في جمع الضرائب وتتألف من من فرق القبائل التي يصل عدد فرسانها إلى 6000 فارس[3].

كانت المحلة بالجزائر الحديثة بالفعل مؤسسة قائمة بذاتها لها نظامها الخاص، نستطيع من خلالها أخذ صورة عن العلاقة بين الحكام سواءا الدايات أو البايات والرعية التي كانت تمثلها قبائل منها القريب من السلطة الذي يحظى بامتيازات خاصة ومنها الخاضع لما تفرضه السلطة الحاكمة وما يمكن ملاحظته أن العلاقة لم تكن مباشرة بين السلطة والرعية.

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 37.
[2] محمد الحبيب العزيزي: المرجع السابق، ص 103.
[3] المرجع نفسه، ص ص: 106-107.

المطلب الثاني: حملة الباي محمد الكبير

حملة الباي محمد الكبير كانت موجهة نحو الجهات الجنوبية والأقاليم الصحراوية التابعة لبايليك وهران لترسيم النفوذ العثماني بنواحي عين ماضي والأغواط التي أعلنت التمرد والعصيان بعد إعلانها الطاعة والولاء والالتزام بدفع ماعليها من ضرائب، وكان ذلك بعد أن أثقل كاهلها باي المدية بضريبة سنوية ثقيلة يضف إليها إرهاقهم بمتطلبات العوائد والرسوم والجبايات الذي أزعج السكان فتماطلت عن دفع تلك الجبايات والضرائب عند قدوم الباي مصطفى سنة 1784م لجمعها و ردته خائبا بعد معارك عديدة[1].

يصف بن هطال التلمساني حال الجنوب تلك الفترة والسبب الذي دفع الباي محمد الكبير إلى التوجه نحوها فيقول:" في جهة القبلة(الجنوب) أنها ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة. ولم يكن منها لملك مصلحة ولا منفعة، كأنها أمة أبقت من أهلها، أو حرة نشزت من بعلها، فشمر لها عن ساعد الجد، عازما على رد مابها من النفار والصد"[2].

فخرج لها الباي محمد الكبير يوم 9ربيع الأول 1199هـ/19 جانفي 1985م[3]، في حملة مكونة من15000 ألف رجل منهم 2000 تركي[5]، عندما رأى أهلها خيله طلعت وبنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم، وغلقوا الديار وعلوا الأسوار وهم مصرخون، وبالطاعة وطلب الشريعة معلنون، فنزلت المحلة بقرب السور[6].

قام الباي خلال حملته هذه باستخدام التفاوض تارة والتهديد تارة أخرى حتى يتمكن من استخلاص الضرائب المفروضة ويحقق طاعة القبائل وخضوعها، فقام بالتفاوض مع أهل الأغواط بعدما جاء الأعيان والعلماء وهم راغبين في الالتزام بدفع ضريبة سنوية مقدارها 100 خادم

---

(1) إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 116.

(2) أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 37.

(3) أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 138.

(5) أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 63.

(6) ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 451.

و500 سلطاني، زاد عليها الباي 100 ثوب صوفي وأربعة أفراس ولبس شيوخ الاغواط كسوة البايليك علامة على انصياعهم[1].

وإذا تطلب الأمر التهديد والقوة كان الباي محمد الكبير يتصرف وفق ذلك، قبل أن يتم خضوع سكان الاغواط الكلي وبعد التفاوض الذي تم بينهم وبين الباي ظهر منهم الرفض فاستعمل الباي القوة يصف ابن هطال ذلك فيقول:" فصعد العسكر إلى الجبل، وهذا الجبل متصل بالمدينة وحيث وصل العسكر إلى الموضع الذي يمكن منه الرمي، جعلوا يرمون على المدينة الرصاص، ورماهم صاحب المدفع بنحو ثلاثة أو أربعة مدافع"[2].

وبعد المواجهة بين الجند والسكان أصيب من "بني الأغواط وأحلافهم ما يزيد على ستين رجلا مابين قتيل وجريح، واحد عشر أسيرا، اشتد خوفهم وزاد رعبهم، وتفرقوا جماعات"،دخل الباي المدينة وفرض على أهلها الانصياع لأمره.

أما سكان عين ماضي فبعد استخدام التهديد التزموا بما فرضه الباي، يصف ابن هطال التلمساني حالهم فيقول:" وإذا بهم خرجوا بنسائهم وعلمائهم، مقدمون النساء أمامهم، فلما دخلوا إلى المحلة أمر السلطان من أوقف النساء بمكان بعيد من فسطاطه، وأذن للعلماء في التقدم، فتقدموا وسلموا عليه، وسألوه أن يرفق بهم ويشفق من حالهم وأن يعفيهم من القطيعة الأولى التي فرضها عليهم، فإنهم لم يقدروا عليها ولا طاقة لهم بدفعها، وجعل لهم لزمة أقل من الأولى، وأعطى لنسائهم سوار فضة لكل امرأة منهن ورجعوا فدخلوا مدينتهم فارحين مستبشرين"[3].

وعندما توجهت الحملة إلى تاجموت استقبل أهلها الباي قبل وصوله إليهم وعرضوا عليه العلف والضيافة مقابل البقاء أكثر للاستفادة من السوق الذي سيتم نصبه قرب واحتهم، وهو سوق لتبادل

(1) محمد الحبيب العزيزي: المرجع السابق، ص 111.

(2) أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص 55.

(3) المصدر نفسه، ص ص: 60-73.

البضائع المتنوعة وتحويل المواد العينية التي تم الحصول عليها خلال الحملة من الغنائم والضرائب إلى مواد نقدية يسهل نقلها إلى عاصمة البايليك، لذلك منع الباي شواشه من ظلم أهل المدينة[1].

وقد غنم الباي من حملته هذه الغنائم المتنوعة، فبعد معاقبة 14 أو 15 دوارا أذعنوا لطاعته ودفعوا ما عليهم من مغارم، قدرت الغنائم التي تم الحصول عليها ب 67000 رأس من الأغنام والماعز، و5000 جمل، و720 بقرة وثور، ووقوع 60 شخصا في الأسر أغلبهم من النساء، وقد تم بيع هذه الغنائم وتوزيعها على قبائل المخزن وفرق اليولداش[2].

تعتبر حملة الباي محمد الكبير هذه من أهم غزواته التي قام بها داخل البلاد حيث جهز لها كما ذكرنا سابقا جيشا عرمرما ونزح بها من معسكر مارا بجبل عمور والبيضاء وأفلو إلى أن وصل مدينة الأغواط التي دخلها بقوة هائلة فانقادت له جميع القبائل التي بضواحيها بما فيها ميزاب[3] وقد ذكر ابن هطال المعاصر للحملة ذلك فقال:" وإذا بخيل من بني ميزاب قد لحقوا إلى المحلة"[4]،فبعد إخضاع القبائل الجنوبية التي وصلها الباي محمد الكبير تم ترسيم النفوذ العثماني بها واعترف الجميع بالتبعية والخضوع للسلطة العثمانية، وأداء الضريبة السنوية.

المطلب الثالث: حملة صالح باي قسنطينة

إن المناطق الداخلية الجنوبية كانت تعيش نوع من الاستقلالية وعدم الارتباط المستمر بالسلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر ، وهذه الاستقلالية منحها لها موقعها البعيد عن السلطة والذي يصعب الوصول إليها[5] ويمنحها مناعة وحصانة وأمن يدفعها إلى الإذعان والتمرد على الطاعة والامتناع عن تأدية الضرائب المفروضة عليها.

---

[1] محمد الحبيب العزيزي: المرجع السابق، ص 113.

[2] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 125.

[3] حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص228.

[4] أحمد بن هطال التلمساني: المصدر السابق، ص75.

[5] أوجين فايست: المرجع السابق، ص 43.

وإمارة بني جلاب واحدة من المناطق الجنوبية التي وجه حكام الجزائر العثمانية حملات عسكرية عديدة نحوها لإخضاعها لسلطتهم بسبب تمردها المستمر ورفضها أداء الضريبة المفروضة عليها،لذلك وجهت نحوها مجموعة من الحملات العسكرية.

أولى الحملات كانت سنة 1552م شنها عليها حاكم الجزائر صالح رايس بعد رفضها دفع الضريبة، فكان لابد من استعمال القوة، لتأتي بعد ذلك حملة يوسف باشا 1647م دائما بسبب التمرد ومن أجل إخضاع مناطق الجنوب للسلطة العثمانية[1].

وحملة صالح باي قسنطينة نحو المنطقة كانت لنفس الأسباب، ففي سنة 1783م عزم صالح باي على الخروج في حملة عسكرية والتصدي لأمراء بني جلاب بوادي ريغ والحقهم بالسلطة المركزية من خلال الالتزام بما تفرضه السلطة على المنطقة من ضرائب، لكنه إنهزم أمام سلطانها فرحات بن عمر الجلابي الذي كان يتولى رئاستها، فرجع صالح باي إلى قسنطينة[2].

عاد الباي صالح مرة أخرى إلى المنطقة سنة 1788م وقرر معاهدة فرحات الجلابي، مغتنما في الوقت نفسه فرصة تحريض أحد أفراد أسرة بني جلاب المطالبين بحكم منطقة توقرت وهو الشيخ أحمد الناقم على ابن عمه فرحات الجلابي[3].

وانطلق صالح باي بحملته مرة أخرى في أكتوبر 1788م، لكن هذه المرة بشكل سري وقد وصل المنطقة بعد ثمانية عشر يوما رغم قساوة الأحوال الجوية، نزل بمعسكره في نواحي سيدي خليل أمام تقرت، لكنه لقي مثل المرة الأولى مقاومة شديدة من فرحات الجلابي الذي رفض الاستجابة لشروط صالح باي.

---

(1) محمد بن معمر: **"علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر"**، الملتقى التاريخي الثالث عن فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، الملتقى السابق، ص ص: 108-109.

(2) عبد القادر موهوبي: المرجع السابق، ص 55.

(3) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 527.

مما دفع الباي إلى فرض حصار طويل على المنطقة تختلف الروايات في تحديد مدته مابين 25يوما و ستة شهور، أثناء فترة الحصار قام صالح باي بقطع أشجار النخيل القريبة من تقرت

ونظرا لطول مدة الحصار[1] والمقاومة الشديدة التي أبداها سكان المدينة بدأت تنفذ مؤونة جيش صالح باي الذي اضطرا الى القيام بهجوم كاسح مستعملا في ذلك المدفعية التي تسببت في إحداث ثغرات بسور المدينة فدخلها وتمكن منها رغم المقاومة الشديدة[2].

أمام هذه الأوضاع ما كان أمام سلطان تقرت غير طلب الصلح والتفاوض الذي تم بين الطرفين بزريبة الوادي[3]، والخضوع لشروط صالح باي الثقيلة والتي تمثلت في تحمل دفع جميع نفقات الحملة وتكاليف الحرب، وتقديم غرامة مالية قدرها 30000 ريال، بالاضافة إلى غرامة أخرى على شكل دواب وخيول وعبيد[4].

كما أخذ من الحاكم الجديد الذي استعان به وهو الشيخ أحمد رسما للتولية يقدر بمليون فرنك مقابل تنصيبه حاكما على تقرت، وتسلمه 1000 بوجو عن كل مرحلة قطعها من قسنطينة نحو مدينة تقرت[5].بالنسبة للقوات التي اصطحبها الباي في حملته نحو المنطقة لا توجد معلومات مفصلة حول ذلك غير أنه يذكر بأن صالح باي كان يرسل إلى الصحراء عشرة أخبية بين كل خباء عشرون رجلا من عسكر الترك، و زواوة، ومعهم شيخ العرب[6]. أما غنائم حملته نحو الجنوب فيذكره صالح العنتري بقوله: "وصل إلى تقرت أقصى مواطن الصحراء وأقام عليها سبعين يوما حتى طوعها، وتحصل بيده الفوائد الكثيرة ورجع إلى قسنطينة من بعد اغتنامه بذلك الغنيمة"[7].

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 527.

(2) محمد بن معمر: المقال السابق، ص 110.

(3) عبد القادر موهوبي: المرجع السابق، ص 55.

(4) محمد بن معمر: المقال السابق، ص ص: 110-111.

(5) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 528.

(6) مؤلف مجهول: **تاريخ بايات قسنطينة – المرحلة الأخيرة**، تح: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، ص 43.

(7) محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 62.

بعد ترسيم ترسيخ العثماني بوادي ريغ من خلال الولاء للسلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر من خلال دفع ماعلى المنطقة من ضرائب والتزامات، توجه نحو صالح باي سكان منطقة وادي ميزاب وجددوا التبعية إلى السلطة العثمانية الحاكمة، و وقع إتفاق بين الطرفين على بقاء ميزاب حرة مستقلة في داخليتها تدير أمورها بنفسها حسب عوائدها وتقاليدها[1].

[1] حمو محمد بن عيسى النوري: المرجع السابق، ص 228.

الملحق رقم(01): خريطة توضح بايليك الشرق والغرب الجزائري.

أنظر:لخضر درياس: المرجع السابق، ص 90.

الملحق رقم (02): قائمة بايات بايليك الشرق

الباي	فترة حكمه
رمضان جولاق باي	1574–1567
جعفر باي	1588–1574
محمد بن فرحات	1608–1588
حسن باي	1622–1608
مراد باي	1647
فرحات باي	1653–1647
محمد بن فرحات	1666–1653
رجب بن فرحات	1674–1666
خير الدين باي	1676–1674
عبد الرحمن دالي	1679–1676
عمر باي بن عبد الرحمن دالي	1688–1679
شعبان باي	1692–1688
علي خوجة	1700–1692
أحمد خوجة بن فرحات	1703–1700
إبراهيم العلج	1707–1703
حمودة باي	1707
علي بن إبراهيم العلج	1708–1707
علي باي بن حمودة	1708
حسين شاوش	1709–1708
عبد الرحمن بن فرحات	1709
حسين دنقزلي	1710
علي باي بن صالح	1713–1710
كليان حسين (بوكمية)	1736–1713

حسن بن حسين (بوحنك)	1754–1736
حسين باي (زرق عينو)	1756–1754
أحمد بن علي (القلي)	1771–1756
صالح بن مصطفى (باي البايات)	1792–1771
إبراهيم بوصبع	17 أوت 1792
حسين بوحنك	1795
مصطفى بن سليمان (الوزناجي)	1798–1795
حاج مصطفى (الانكليزي)	1803–1798
عثمان بن محمد الكبير	1804–1803
عبد الله خوجة بن إسماعيل	1806–1804
حسين بن صالح باي	1807–1806
علي بن يوسف	1807
أحمد شاوش (القبائلي)	1808–1807
أحمد طبال	1811–1808
محمد نعمان	1814–1811
محمد شاكر	1818–1814
قارة مصطفى	1818
أحمد باي المملوك	1818 (بضعة أشهر)
محمد بن داود الميلي	1819–1818
محمد خوجة الغربي	1820–1819
أحمد باي المملوك (للمرة الثانية)	1822–1820
إبراهيم الكريتلي	1824–1822
محمد منامني بن خان	1826–1824
الحاج أحمد باي	1837–1826

أنظر: عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص:212-215.

الملحق رقم (03): قائمة بايات بايليك الغرب

الباي	فترة حكمه
الباي أبو خديجة الباي صواغ السايح المازوني الباي محمد بن عيسى	فترة غموض
شعبان الزناقي	1686-1679
مصطفى بوشلاغم المسراتي	1733-1686
يوسف المسراتي	1735-1734
محمد بوطالب المجاجي	1742-1735
قايد الذهب المسراتي	1747-1742
عثمان بن إبراهيم	1756-1747
حسن باي	1756
إبراهيم المليان	1771-1756
الحاج خليل	1778-1771
الباي محمد بن عثمان الكبير	1798-1778
عثمان بن محمد	1802-1798
مصطفى العجمي	1805-1802
محمد المقلش	1807-1805
محمد بوكابوس	1812-1807
علي قارة	1817-1812
حسين بن موسى الباهي	1830-1817

أنظر: الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 356.

الملحق رقم (04): أبيات من مرثية صالح باي " قالوا العرب قالوا "

قالوا العرب قالوا......ما نعطيوا صالح ولا ماله

ولو نقتلوا آه......ويطيح الركاب على الركاب

قالوا العرب هيهات......سيدي صالح باي البايات

هذي من الله جات......يرحم من كان حزارا

***

خرجت متهني......عطوني الامان وخدعوني

هياولي كفني......باي ابراهم جاي حزارا

***

كي حاصروا المدينة......وتغلقوا البيبان

وهرب صالح وعلى مجارح......ودماغه عريان

كي حكمه الشاوش.......داره زوج حديدات

وقاله:إتوض آه ياصالح......واخرج للميدان

***

كي دخلوا لداره......هي وبيت المال

ذهب وجوهر آه يا صالح......خدام مع الوصفان

قالوا صالح راح......وريولي قبره نرتاح

يا ويهبوا الرياح......ونقبل الخد اليمين

واش من بني واعواض صالح في قسنطينة

احزنوا عليه آه يا اولاده يا عرب المدينة

أنظر: فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص ص: 190-191.

الملحق رقم (05): أبيات من قصيدة أحمد القرومي للباي محمد الكبير بعد غزوته على الأغواط

لمن ذلت الأبطال قهرا بعزه	*كما له كل الصعب ذل بلا عشر*
محمد المستسفل الشهب مجده	*على أنه في الأرض حاز سنى الفخر*
امير له من الناس عدل وسطوة	*فعامله فى تلك يرفع بالجر*
لقد دوخ الأرض البسيطة طوله	*لصاحب مرمى الحق أو الجور*
على رحبها ضاقت على وسع جنده	*فتسمع من بعد صدى نقر المتر*
كان قرى الاغواط جمع مؤنت	*فيعمل فيها الفتح جيشه بالكشر*
لذاك ترى الاغواط ان ذكر اسمه	*تفقد راسا هل أبين من النحرى*
كان بلاد الغرب والشرق كفه	*فيامر بالعمران فيها و بالقفر*
اذا رام شخص أن يحدث نفسه	*خلا فاطوى عنه الاصابع بالعصر*
فان كان في حرب ترى الكون عابسا	*و ان كان في سلم تر الكون في بشر*
ترى مترف الاعداء خلف خبائه	*مصاعها للوحش أكلا و للطير*
اذا رام غزوا بشر الطير بعضه	*ونادى منادى الطير سيروا الى الدخر*
جواد له في الفضل أسنى مآثر	*مكارمه جالت على العبد والحر*
هو البحر جودا والهزبر مهابة	*وروض الربى علما وفى سمة الزهر*
توشح بالعلم الشريف حقيقة	*لسنة خير الخلق مستند الظهر*
فيصطنع المعروف في كل أهله	*فلا يفعل الاشياء إلا على سر*

أنظر: أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص ص:150-152.

الملحق رقم (06):مداخيل المحلات الجزائرية سنة 1790م.

مداخيل المحلات سنة 1790م	الوحدة:دورو (= 20غ فضة/ 6.4ذهبا)
بايليك قسنطينة	228.000
بايليك وهران	273.000
بايليك التيطري	67.000
مجموع البايليكات الثلاث	578.000

أنظر: العزيزي محمد الحبيب: المرجع السابق، ص 52.

الملحق رقم (07): جدول مراحل طريق محلة الباي محمد الكبير 1785م.

المرحلة	المسافة الزمنية
معسكر	مقر حكم الباي
واد الزلامطة	6 ساعات
واد العبد	5 ساعات
دير الكاف	6 ساعات
البيضاء	8 ساعات
عين سيدي علي	9 ساعات
عين سيدي سليمان	5 ساعات
الخنيق	4 ساعات
تاويلة	9 ساعات
الخير	6 ساعات
قصر أفلو	4 ساعات
وارن	6 ساعات
الدبداب	6 ساعات ونصف
الحواجب	3 ساعات
أم الضلوع	3 ساعات
الأغواط	3 ساعات
الرشاف	3 ساعات
تاجموت ثم عين ماضي	4 و 3 ساعات

أنظر: العزيزي محمد الحبيب، ص ص: 109-110.

المصادر والمراجع:

أولا_ المخطوطات:

_ خوجة حسان: تاريخ بايات وهران، مخ، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 1634.

_ الناصري أحمد بن أحمد أبي راس: عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، مخ، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3327.

ثانيا_ المصادر:

_ الجامعي عبد الرحمن : فتح مدينة وهران، ج 1، تح: مختار حساني، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2003.

_ ابن زرفة الدحاوي محمد مصطفى: الرحلة القمرية، تح: مختار حساني، ج 2، جامعة الجزائر- مخبر المخطوطات، الجزائر،2003.

_ الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار – نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

_ الزياني أبو القاسم : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة، الرباط، 1991.

_ الزياني محمد بن يوسف : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم و تعليق: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

_ بن سحنون الراشدي أحمد : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973.

_ عميراوي أحميده: الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009.

_ العنتري صالح: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها- تاريخ قسنطينة، مراجعة و تقديم: يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

ـــ العنتري صالح: مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974م.

ـــ العياشي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية 1661-1663م، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

ـــ المبارك أحمد العطار: تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح و تعليق: نور الدين عبد القادر، المؤسسة العملية للدراسات العربية، ساحة لافيجري- الجزائر، 1952.

ـــ المزاري الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

ـــ بن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، ط 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1972.

ـــ مؤلف مجهول: تاريخ بايات قسنطينة – المرحلة الأخيرة، تح: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر.

ـــ بن هطال أحمد التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، ط1، مطبعة مخيمر ، القاهرة، 1969.

ـــ الوزان حسن: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983.

ثالثا_ المراجع:

ـــ الأعرج أبو عبد الله السليماني: تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الأمير عبد القادر(عن كتاب الشماريخ القسم الثاني، و جزء من القسم الثالث)، تح: حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

ـــ التر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

ـــ بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

المصادر والمراجع:

ـ بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، ط 3، دار البصائر، الجزائر، 2008.

ـ بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم 1830-1848، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

ـ يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

ـ بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر- الجزائر الحديثة، ج2، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

ـ بوعزيز يحي: موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

ـ بوعزيز يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك اوروبا 1500 – 1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

ـ الجمل شوقي عطا الله: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.

ـ الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج 3، دار الأمة، الجزائر، 2010.

ـ الحاج سعيد يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين- دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية،1992.

ـ حفناوي بعلي: دليل الأنيس و الجليس في رجالات و شهيرات موطن العناب و الأحباب، ط 1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2009.

ـ بن خروف عمار: العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن 10هـ/16م، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006.

ـ خلاصي علي: الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

ـ بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، ط 1 ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005.

ـ درياس لخضر: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط 1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

ـ رمضان مصطفى إبراهيم: خواطر حول الوضعية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في غرداية ،دار نزهة الألباب، غرداية.

المصادر والمراجع:

_ الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1830/1792، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

_ سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية –دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت–لبنان، 2000.

_ سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في اواخر العهد العثماني (1792–1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

_ سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الاسلامي–تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان، 1999.

_ الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش و محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

_ شغيب محمد المهدي: أم الحواضر في الماضي و الحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

_ شلوصر فندلين: قسنطينة أيام أحمد باي 1832–1837، تر: أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

_ بن شهرة المهدي: تاريخ و برهان بمن حل بمدينة وهران، ط 1، دار الريحانة، الجزائر، 2007.

_ عامرمحمود علي، محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الاقصى ليبية"، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق.

_ عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2007.

_ عموره عمار: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962– الجزائر عامة، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

_ غطاس عائشة: الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007.

_ فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826–1850، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

_ فركوس صالح: مختصر تاريخ الجزائر(من الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق م–1962)، دار العلوم، الجزائر، 2005.

المصادر والمراجع:

ــ فايست أوجين: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873م ، تر: صالح نور، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2010.

ــ قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.

ــ الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة:أبو القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2003.

ــ مالتسان هاينريش فون: ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، ج 3، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

ــ المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

ــ المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492-1792،عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

ــ مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007.

ــ موهوبي عبد القادر: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر، الجزائر، 2011.

ــ مياسي إبراهيم: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

ــ الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

ــ النوري حمو محمد عيسى: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج 1، مطابع دار البعث، قسنطينة.

ــ نيس بيلي: تاريخ ورقلة دراسة حول تسلسل الأحداث التاريخية، تر: علي إيدير، المركز الثقافي للوثائق الصحراوية وجمعية القصر للثقافة والاصلاح، 2011.

ــ هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008.

_ وولف جون: الجزائر و أوروبا 1500 – 1830، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

_ يحي معمر علي: الاباضية في موكب التاريخ ،ج2،المطبعة العربية ،غرداية ،الجزائر ،1996.

رابعا_ المراجع الأجنبية:

_ Henri (léon FEY) : Histoire D'Oran, Typographie perrieréaiteur, Oran, 1858.

_ Souidi Djamael : Grands Personnages de l'Histoire Ancienne de l'Algérie(des origines à1830),editions du Telle, Algérie,2006.

خامسا_ المقالات العربية:

_ بلبروات بن عتو: " الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته "، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، 2005م.

_ بوباية عبد القادر: "قيام حكم بني جلاب بوادي ريغ"، الملتقى التاريخي الثالث عن فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت–ورقلة، 1998.

_ بن خروف عمار: " جماعة بني ميزاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني 1520-1830"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 1، المطبعة العربية، غرداية، 2006.

_ رمضان رابح: "جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي"، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، الوادي، 2012.

_ زوزو عبد الحميد : "الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي"، مجلة الاصالة، عدد خاص، 1977.

_ سعيدوني ناصر الدين: "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، مجلة الأصالة، عدد خاص، 1977.

_ عمراني معاذ: "تاريخ منطقة وادي ريغ من خلال أرجوزة الشيخ حقي محمد السايح التجاني التماسيني"، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال

القرنين12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، الوادي، 2012.

_ قادري عبد الحميد: "التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ ايام بني جلاب"، الملتقى التاريخي الثالث عن فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت–ورقلة، 1998.

_ القشاعي فلة و المولودة موساوي: "النظام الضريبي بالريف القسنطيني اواخر العهد العثماني 1771 -1837"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 7، الجزائر، 1993.

_ بن معمر محمد: "علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر"، الملتقى التاريخي الثالث عن فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت–ورقلة، 1998.

سادسا_ المقالات الأجنبية:

_ Berbrugger (A) : Province de Constantine (Les anciens et ablissement reliuse Musulmans de constantine),R.A ,1868.

_ . BERSNIER (L . J) :" L'époque de l'établmissement des Turcs a constantine" , R.A ,1856.

_ DALRYMPLE Major :Expidition d'ORELLY , R.A, 1861.

_ FERAUD (L) : " Epoque de l'établissement des Turcs a constantine " , R.A , 1866.

_ FERAUD (L) : les BEN –DJELLAB sultans de tougourt, R.A, 1879.

_ GORGUS (A) : Notices sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir, R.A , 1857.

_ LESPES(R) : Oran, Ville et Port Avant L'occupation Française 1830, R.A ,1934.

سابعا_ المذكرات والأطاريح الجامعية:

_ دكار أحمد: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1591/1883م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، 2009/2010.

_ العزيزي محمد الحبيب: ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث: المحلة التونسية أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2006.

_ كرم فتيحة، خديجة جبريط: الحركة الاصلاحية في منطقة غرداية 1882-1962، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، 2011/2010م.

_ معاشي جميلة: الانكشارية و المجتمع ببايليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ و الآثار، جامعة قسنطينة ، 2008/2007م.

ثامنا_ المعاجم والموسوعات:

_ حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية- مدن الجنوب، ج 2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

_ أبو عمران الشيخ و ناصر الدين سعيدوني: **معجم مشاهير المغاربة،** المؤسسة الوطنية للطباعة، جامعة الجزائر، 1995.

المصادر والمراجع: